عزيز نسين

حكاية البغل العاشق



قصص قصيرة :

نقلها عن التركية
جمال دورمش

منشورات دار علاء الدين

هذا الكتاب

اشتهر المؤلف عزيز نسين بكتاباته الساخرة التي ينتقد فيها شتى الجوانب السلبية في المجتمع بأسلوب شيق وممتع استقطب اهتمام القراء في الكثير من دول العالم. ومن مؤلفاته التي تُرجمت إلى العربية مجموعات قصص: ((يسلم الوطن))، ((خصيصاً للحمير))، ((في احدى الدول)) ، ((لاتنسى تكة السروال))

أما القصص المنشورة في هذه المجموعة فهي مترجمة لأول مرة عن اللغة التركية مباشرة وتمتاز برقة الأسلوب ومتانة اللغة الأدبية .

الناشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١

فاكس: ٢٣١٧١٥٩ - ٥٦١٣٢٤١

عزيز نيسين

حكاية البغل العاشق

ترجمة: جمال دورمش

منشورات: دار علاء الدين

دمشق ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩٩

التنضيد والإخراج الفني : دار علاء الدين

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دمشـــق : ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتــف : ٥٦١٧٠٧١
فاكس : ٥٦١٣٢٤١

البغل العاشق

قال لي صديقي الكولونيل نهاد أتيك "صديق الدراسة" رحمه الله: عندما أنهيت المدرسة العسكرية، قبل التحاقي بالكلية الحربية، انضممت إلى دورة خاصة للضباط في الوحدات العسكرية لمدة ستة أشهر.

في مجموعة الأسلحة الأتوماتيكية التي أرسل إليها نهاد كان بغل شرس ومزاجي يعض من يمرّ أمامه ويرفس من يقف خلفه، عجزوا عن لجمه بحبل أو سلسلة، يأبى تحميله، أي ثقل، ولو أجبر على ذلك، فإنه يقوم برميه. وإن عجز فإنه يركض صوب الروابي حتى يتخلص من حمل.

وفجأة أصبح هذا الحيوان هادئاً أليفاً، فاستغرب الجميع من هذا التحول، وبحثوا عن السبب.

قام أحد المربين بربط بغلة أمام هذا البغل، منذ تلك اللحظة تحول هذا البغل وأصبح هادئاً وأليفاً، حتى أنه انقطع عن الأكل والشرب، فلا يأكل التبن الذين يوضع أمامه، إلا عندما تنهي البغلة طعامها فيبدأ هو بتناول طعامه.

عندما ساقوا الحيوانات للشرب، وقف البغل بجانب أنثاه ليراقبها، وعندما أنهت شربها قام هو بشرب الماء.

هذا البغل الذي كان يأبى تحميله أيّ شيء راح يقف بجانب أنثاه، عندما كانوا يحملونها كي يضعوا الحمل على ظهره، حسب حديث المراقبين، أن البغل بذلك يحاول مشاركتها الحمل، كي يساعدها ويخفف عنها، وأنك لو قتلته فلن

يسمح لك بتحميله قبل أن يطمئن على حملها.

وهكذا خرجوا بنتيجة مفادها أن تغير سلوك هذا لبغل هو عشقه وولهه بأنثاه. وبما أن البغل عقيم، فهذا يعني أن هيامه هو عشق عذري.

وبعد أيام وأيام، ولا أحد يعرف هل نقلوا تلك المعشوقة إلى وحدة أخرى أم باعوها، أم ماتت، ومهما كان السبب فالبغل بقي وحيداً، بعد هذا الفراق عاد البغل إلى سابق عهده وأكثر. لا يمكن ضبطه ولا ربطه ولا.. بعد فترة ليست طويلة صعد البغل إلى مكان عال جداً وألقى بنفسه ليسقط ويتقطع ويموت.

من كان يظن هيام البغل بالبغلة أدى إلى نتيجة أنه انتحر بسبب قصة حب فاشلة؟!! .

لذلك أن يعشق البغل ويقدم على الانتحار، هذا تفسير غير معقول {لأنه كما يقول البعض "مجنون يحكي وعاقل يسمع" أيعقل أن يصعد البغل إلى أعلى الجبل وأن يرمي بنفسه لأي سبب من الأسباب}.

وكالة OX-13

عمل جاسوساً لسنوات طويلة في دول شمال الشرق الأقصى والشرق المتوسط ، منظماً ومدبراً لمجموعة أعمال تخريب فيها .

كان واحداً من كبار جواسيس بلده . حقق نجاحات كبيرة ، لذلك استحق بجدارة أن يدخل تاريخ الجاسوسية وهو ما يزال حياً .

كان كبيراً في السن على الرغم من مظهره الخارجي الذي يبدو شاباً. وكان رجلاً شديد البأس ، قوي العزيمة، أرسلته حكومته إلى تركيا يقيناً منها إمكانية الاستفادة من خدماته للقيام ببعض الأعمال الجاسوسية.

عمل هذا الجاسوس عميلاً في وكالة للتجسس اسمها السري OX-13 و اسمه السري في تركيا هو RICHARD WELLING .

كان من عادة ريتشارد ويلينغ تعلم لغة الدولة التي سيعمل فيها لذلك تعلم التركية قبل الوصول إليها خاصة أن لديه القدرة الفائقة في تعلم اللغات .حيث تطورت لغته بعد استقراره في تركيا بعدة أشهر .

ومن المعروف أن أفضل طريقة لتعلم لغة أجنبية في بلد ما هو الزواج من فتاة من أهلها . فلكي ينجح فيلينغ في مهمته السرية ولكي يتحدث باللغة التركية كان من المفترض زواجه من فتاة تركية . جميع الأمور كانت تسير على مايرام إلا أن والدها ووالدتها اشترطا عليه إشهار إسلامه للموافقة على الزواج و إلا فلن يوافقا .

بالنسبة لرتشارد فيلينغ ، سيان عنده أن يكون مسلماً أوموسوياً . مسيحياً أو بوذياً أو لنقل أنه كان يفكر بهذا الشكل لعدم معرفته بها لكن الجاسوس المشهور وجد الفرق واضحاً عندما اعتنق الإسلام خاصة أن الأمور تختلف بالنسبة للرجال فيما لو اعتنقوا الإسلام إذ أنه من المفروض أن تجرى له عملية الختان ، أن تقص قطعة .... من ، لذلك كان على هذا الجاسوس أن يجري العمل الجراحي و أن يقطع تلك القطعة التي يعتبرونها زائدة. لم تكن الأمور سهلة بالنسبة لريتشارد بسبب تقدمه بالعمر . لقد كان شهماً ، وعززها أكثر بتغيير اسمه وهكذا اصبح ريتشارد ويلينغ رشاد ولي . بذلك يكون رشاد ولي قد أوجد كل عوامل نجاحه في مهمته ، وخلق الظروف الملائمة لعمله بسهولة .

إن بعض التصرفات تغير الإنسان بشكل كامل ، وتبقى منظورة مهما كانت صغيرة .

اعتناق رشاد ولي للإسلام و انخراطه في المجتمع التركي و زواجه من تركية . كل ذلك أثر فيه وغير من نظرته للحياة تغييراً كاملاً . عندما عاش بينهم وتعرف عليهم عن قرب ولمس طيبتهم ، كل هذه الأمور مجتمعة جعلت الجاسوس المشهور يشعر بالقرف من مهمته . هذا السبب كان يؤثر في طيبي القلب لكي لا يقابلوا الإحسان بالسوء أما أن يرق قلب جاسوس تحجر منذ أكثر من أربعين عاماً وهكذا فجأة فهو الذي لا يصدق لكن لكل قاعدة استثناء ، وهذا ما حصل مع رشاد ولي ولطيبي القلب هنا الدور في ذلك .

بعد ظهر ذات يوم اتجه إلى دائرة مكافحة التجسس . تجول داخل البناء لفترة من الزمن . كم سيستغرب المعنيون لو تعرفوا عليه وعرفوا بمهمته ، إذن لاعتقلوه على الفور و استجوبوه مطولاً . لقد حسب رشاد ولي الحساب لكل شيء . طرق على أحد الأبواب في الطابق الأول ،

دخل الغرفة وهناك سأله الموظف عن حاجته.وبما أن رغبته كانت الدخول في الموضوع مباشرة ، أعلمه أنه جاسوس حتى أنه أخبره عن الدولة التي يعمل لصالحها .

اسم الدولة كان مهما بالنسبة للموظف لذا فهو لم يهتم بكلمة جاسوس ، التي ذكرها . أو كأنه لم يسمعها بسبب انصباب اهتمامه على أسم تلك الدولة العظيمة .

عندما لا حظ رشاد ولي عدم انفعال واندهاش الموظف أعاد ثانية على مسامعه أنه جاسوس يعمل لحساب تلك الدولة .

نهض الموظف مادا يده ليشد على يد عميل الجهاز O X-13 :

- سعيد جدا بمعرفتك ، أرجوك تفضل واسترح " مشيرا إلى المكان "

نعم نعم ، لم يخطئ رشاد ولي ، إن هذا الشعب طيب القلب لدرجة أنه يستقبل الجاسوس بحفاوة ويدعوه للجلوس . بعد جلوسه ، قدم له الموظف - وهو من المراتب العليا - السيجار .

قال له رشاد ولي :

- أنا كما هو معروف عني ، عميل لوكالة OX-13 ، اسمي الحقيقي ريشارد فيلينغ .

شاطره الموظف و عرفه عن اسمه ثم قال :

- هل لكم ما تطلبونه من عندنا ؟.

استغرب رشاد ولي كثيرا ، وهو الذي كان ينتظر اندهاش الموظف خاصة بعدما عرفه عن نفسه ، ربما لم يفهم الموقف لذلك ثانية قال له :

- أنا جاسوس .

رد عليه الموظف باستغراب :

- لاه !!! .. شيء رائع . ثم تابع بعد فترة تفكير " ألك حاجة لدينا ؟.

لم ينتظر الموظف إجابة رشاد ولي و وضع يده على ظهر رشاد

بتوودد :

- عليك الصعود إلى الطابق الثاني ، الغرفة رقم ٣٣٨ وهنـــاك ســتجد الموظف المختص .

اتجه رشاد ولي إلى الموظف المختص في الغرفة المذكورة ، وهنــــاك عرفه بنفسه أجابه الموظف بجدية بالغة :

- جاسوس ماذا ؟!! .. أقصد في أي مجال تتجسس ؟.

أجابه رشاد :

- المداهمة خاصة أعمال التفجير والنسف

- لا شاغر لدينا ، أو بالأحرى لدينا الفائض في هذا المجال ، لذلك عذرا، لن نستطيع تشغيلك عندنا .

استطاع هذا الموظف من استفزاز الجاسوس وهو الذي لا يســـتفز بتاتا :

- أقول لكم أنا جاسوس !.

رد عليه الموظف بأعصاب باردة :

- قد يجوز ، لكن ما دورنا في ذلك ، أم ترغبـــون حمـــايتكم لأنـــك جاسوس؟.

- أقول لكم إني عميل ، ألا يوجد هنا من يهتم بهذه الأمور كي أســـلمه المخططات والوثائق السرية ؟.

- هاه !!.. هذا شيء آخر .. لطفا عليك الصعود إلى الطـــابق الثـــالث الغرفة الأخيرة على اليمين بعد الرواق هناك ستجدون الموظف المختص بقضايا التفجيرات .

و بالفعل اتجه رشاد ولي إلى الموظف المذكور وهناك قال له :

- يا سيدي أنا جاسوس .

أجابه الموظف متكاسلا حتى دون أن يحمل نفسه عناء رفع رأســـه

عن الأوراق المكومة فوق الطاولة :
- من أرسلك ؟.
- أتيت لوحدي .
وهنا رفع الموظف رأسه :
- أقصد من أقترح عليك مراجعتي ؟ .
- الموظف في الغرفة ٣٣٨ ، وقال إنكم متخصصون بمجال التفجيرات .
- نعم لكن أي نوع من المتفجرات ؟.
- المتفجرات التي تنسف الجسور .
- ماذا قلت ؟!..جسور !!.
- نعم جسور !.
- لقد أخطأوا في إرسالك إلي ، نعم اختصاصي نسف وتفجير لكن ليس الجسور .
- حسنا.. من أراجع إذا ؟.
راح الموظف يلوك القلم بين أسنانه مفكرا :
- جسور .. جسور .. جسور ...
بعد لحظات من ذلك :
- عليك الصعود إلى الطابق الرابع ، وهناك يمكنك السؤال عن المختص بشؤون نسف الجسور .
- أيعرفونه ؟.
- نعم نعم اسأل من تشاء ، فسيدلونك .
قام الجاسوس المشهور بتنفيذ ما أشير عليه به و طرح على الموظف المسؤول الموضوع من ألفه إلى يائه بأنه جاسوس و أنه مرسل بمهمة رسمية و أية جسور سيقوم بنسفها .
سأله الموظف الذي كان يستمع إليه باهتمام :

- أية جسور ؟.

كاد رشاد ولي أن يتفرقع من الغيظ :

- الجسور المعروفة طبعا..

وضح له الموظف ما يقصده :

- يعني الجسور الخشبية أم الاسمنتية أم الحجرية أم المعدنية .. الجسور المعلقة أم الجسور المخصصة للمشاة ؟.. الجسور كثيرة لدينا ولكل نوع من الجسور مكاتب ومتخصصين .

أجابه رشاد ولي :

- والله على الأغلب الجسور المعدنية ..

- هاه .. الآن فهمت .. لقد أخطأتم في وجهتكم ، عذرا على الإزعاج لأنكم ستصعدون إلى الطابق الخامس وعليكم مراجعة الغرفة ٦٠١ وهناك أبلغوا الموظف المختص تحياتي وسيساعدكم بما ترغبون .

صعد رشاد ولي ، يعني ريتشارد فيلينغ إلى الطابق الخامس و الأمل يداعبه ..

دخل الغرفة المقترحة ، وهناك أعاد عليهم قصته ثانية ، من طقطق وحتى السلام عليكم وسكت وبدوره الموظف الكبير أيضا سكت ، على الأغلب كان يفكر بما يجب أن يقوم به . فجأة رفع سماعة الهاتف وراح يتحدث :

- سيدي قدم أحدهم ، يدعي أنه جاسوس وأنه مكلف بمهمة تفجير خاصة الجسور المعدنية ماذا نفعل ؟..ماذا تأمرون .

كان رشاد ولي ينتظر زلزلة الأرض من تحته واقتياده إلى الاستجواب فورا . لكن المسؤول الكبير أنهى مكالمته قائلا " تأمرون يا سيدي " و التفت إلى رشاد ولي بعد انتهاء المكالمة ليقول له :

- أفضل شيء كما قال المدير وهو محق في رأيه ، عليك الصعود إلى

الطابق الأخير وهناك هاشم بك عليك التوجه إليه .

نفذ رشاد ولي ما أشير عليه وشرح لهاشم بك قصته من جديد .

قال له هاشم بك :

– بم تفجرون الجسور المعدنية ؟ .

اصطبغ وجه الجاسوس بالحمرة من شدة الغيظ ورد عليه بطريقة لا تقل غيظا صارخا :

– بأية طريقة كانت تكون وما يهمك أنت .

حاول الموظف أن يهدئ الجو قائلا :

– أرجوك لا تغضب ، تقول إنك جاسوس وتغضب . في مهنتنا لا مكان للمنفعلين ، أسألك كي أهون عليكم فيما تطلبون لدينا قسم للإشعال بالفتيل وقسم آخر للإشعال عبر اللاسلكي ولكل اختصاصه .

وصلت روح رشاد ولي إلى أرنبة أنفه كما يقولون .

– أستخدم الطريقتين ، يا أخي أنا جاسوس .. جاسوس وحسب !!! ..

– لم لم تقل ذلك من قبل ؟... لقد أخطأت بالمكان الرجاء النزول إلى الطابق الأول و ادخلوا الغرفة الثالثة على اليمين و هناك اشرح لهم قصتك .

نزل رشاد ولي إلى الطابق الأول ودخل الغرفة الثالثة على اليمين وروى لهم قصته من جديد وهو يحمل الأمل الأخير .

نظر الموظف إلى ساعته وهو يلبس معطفه ووجهه لا يضحك للرغيف الساخن :

– حسنا .. لكن لم تأخرت حتى هذه اللحظة ؟. أين كنت لغاية الآن . انتهى الدوام وستغلق الدائرة أبوابها أما ما طرحتموه فهو هام جدا ويحتاج لمزيد من الوقت لمناقشته .

حدثه رشاد أغا أنه أمضى نهاره متجولا في طوابق الدائرة وفي غرفها

ولهذا السبب تأخر عن القدوم إليه .

راح الموظف يرفع صوته :

- فهمت ..فهمت .. على كل حال ألا تستطيع القدوم غدا باكرا ..

لم يتم رشاد ولي عبارته التي بدأها قائلا :

- أما ..

حتى دفعه الموظف بقفا يده :

- أرجوك تعال غدا باكرا ..

كان ريتشارد ويلينغ واسمه المحلي رشاد ولي الجاسوس المشـــهور في الوكالة OX-13 يسير في الشوارع شارد الذهن . لكن المسكين عميل ال OX-13 استمر في تنفيذ مهمته دون رغبة ....

الحذاء الضيق

انتعلوا حذاء ضيقا عند ذهابكم لطلب يد فتاة . ألبسوا حذاء ضيقا بعض النمر عندما ستلتقون للمرة الأولى بمن سيصبح حماكم في المستقبل.

تستطيعون الزواج من الفتاة التي تريدون عندما ترتدون حذاء ضيقا. حتى لو رفضت تلك الفتاة فإن والديها سيجبرانها على ذلك وهذا مجرب لا محال.

لقد تعلمت تلك الحقيقة قبل سنوات طويلة .

عشق سيرمت فتاة لحد الجنون . وبسبب هذا العشق أهمل جميع أشغاله و أعماله .جميع أصدقائه كانوا يشفقون عليه وعلى حالته حتى أنني قلت له ذات مرة :

– أتحبك الفتاة أيضا ؟ .

– وأي حب !! ...

– إذن تزوجا

– وكيف أتزوج يا أخي فأنا وحيد هنا في استنبول . أمي و أبي في أرظروم و لا أحد لي هنا . ومن سيطلب الفتاة من أمها ؟ .

– ياهوه تلك الأزمان ولت ، اذهب مباشرة إلى والدها وقل له " توافقت و اتفقت مع ابنتكم لذلك أرجوكم أن تمدوا لي يد المساعدة للزواج بها.

- ألا تعرفني ، فأنا لا أستطيع التحدث بجملة مفيدة حتى أني ألفظ الـــــ من بالـــ بن . سيرفضني حتما عندما يسمع حديثي حتى لو كانت لديه الرغبة في تزويجي من ابنته ، لو كنت متحدثا مثلك وكلامـــي محببـــا لذهبت فورا وطلبتها .

مسكين " سرمت " هذا ، فقد كان يتأجج باستمرار بنار الحـــب.

ذات يوم قدم إلي وقال :

- رجاء إذا كان سيتم هذا الشيء فلن يتم إلا من خلالك . هيا فلنذهب إلى بيت الفتاة ، ولتطلبها لي من أبيها ..

- ما هذا يا سرمت، أجننت ؟ وكيف ذلك ؟ ، لا شـــك أن والدهـــا سيضربنا ويطردنا من بيته عندما يشاهدني معك.

كنا يومها في الثانية والعشرين ، الثالثة والعشرين من العمـــر. راح سرمت يلح متوسلا :

- تحكي له حكاية ساخرة وتضحكه بها . خاصة أن الأمور كلها تنحـــل عندما تستطيع إضحاكه أول مرة . أختها الكبرى عندمـــا تضحـــك ضحكة واحدة اعتبر أن مشكلتنا قد حلت. لذلك عليك أن تحكي لـــه الحكايات . وتتحدث معه بطلاوة وهكذا تكون قد كسبت الرجل .

- لا أستطيع يا سرمت .

قالت الفتاة لسرمت: "إما أن تأتي وتطلبني من أبي أو تنسى كل ما بيننا ".

حاولت إقناع سرمت بالعدول عن تلك الفكرة :

- يا أخي لم تنه خدمتك العسكرية بعد ، و لاتمتهن مهنة معقولة ، كيف ستفتح بيتا و أنت تعمل هنا مراسلا لصحيفة طوال الشهر كي تحصـــل على ستين ليرة ؟ .

- أجابني ” سرمت ” قائلا :

- و أنا من أجل ذلك سأتزوج . والد الفتاة غني ، و بغير هذه الوسيلة لا أستطيع ضمان حياتي . هيا لنذهب ، والدا الفتاة في البيت اليوم .
- لا أستطيع يا عزيزي " سرمت " .
- يا هوه ، إنها خدمة أخوية . وبفضلها ستنقذ حياتي .

وافقت لأنه كان على وشك البكاء . حذائي الذي انتعله مهترئ ، أضحى مثل تمساح فاغر فمه ، أيعقل أن نذهب إلى بيت الفتاة بهذا الحذاء. ولا نقود لدي لشراء حذاء جديد . طلبت سلفة من معلمي على الرغم من معرفتي ببخله وأنه يعتبر من أبخل من في " ببيالي ". قال لي يومها :

- هاه ، تذكرت ، عليك عشر ليرات هل سددتها ؟ .

أما مديرنا الإداري فهو رجل طيب ، أنقذني وأعطاني خمس عشرة ليرة على أن يحسم المبلغ من راتبي . اتجهنا أنا و" سرمت " مباشرة إلى سوق الأحذية المحلية ، هناك تباع أرخص الأحذية .

تعتبر الأحذية ذات المقاسات دون السبعة والثلاثين ، أحذية ولادية وتباع بأربع عشرة ليرة وسبعين قرشا و ما فوق وحتى الستة وأربعين أحذية رجالية أغلى بعشر ليرات ، مقاس قدمي ثمانية وثلاثين .

إن هذه المفارقة تعتبر من أكثرها ظلما في هذه الحياة . أيعقل أن أدفع عشر ليرات زيادة بسبب نمرة واحدة ؟! .عدا عن ذلك من غير المعقول أن يكون سعر الحذاء ثمانية وثلاثين بسعر الستة و أربعين . لم أستطع شرح هذه المظلمة للبائع بأي شكل من الأشكال لذلك اتجهنا إلى المدير ، أظهر تفهمه إلا أنه قال:

- ماذا نفعل إذا كانت الأنظمة السارية هكذا .

لم أستطع ضبط نفسي لذلك رحت ألقي كلمة قائلا :

- سحقا لجميع أنواع الظلم في العالم .

- اصمت و إلا فتحنا محضرا بذلك .

جمعنا و لملمنا كل ما لدينا أنا و " سرمت " إلا أن ذاك لم يكف لشراء حذاء مقاسه ثمانية وثلاثين

قال لي "سرمت" :

- خذ سبعة وثلاثين .

- ضيق لا يناسب قدمي .

- تنتعله من أجل خاطري .

- ياهوه ، أي خاطر وماطر في الأحذية و الأقدام ؟ .

قلت بيني و بين نفسي ماذا أفعل ؟ . من أجل خاطر الصداقة اشتريت الحذاء . أبرزت النوايا الحسنة لانتعال الحذاء ، حقيقة حاول البائعان كثيرا مساعدتي ، مسكين " سرمت " ، حبات العرق تنساب من جبينه ، و أخيرا نجحا وربطا رباط الحذاء وقالا :

- هيا قم .

قالا لي ذلك لأنني كنت ملقى على الأرض .نهضت بعدما حملاني من تحت إبطي، وحال نهوضي صرخت :

- أغيثوني

أتمنى أن لا يحرم اللـه قدما من حريتها ، فحرية القدم لا تشبه حرية الصحافة ولا حرية الوجدان .

قال البائع :

- سيتوسع الحذاء عندما تسير عليه قليلا.

أي مسير فأنا لا أستطيع الحراك . خرجنا إلى الشارع و أنا أشعر أن شرايين مخي تنتفض لدرجة أن حبات العرق أخذت تنساب من أسفل ظهري ، في هذه اللحظات قال لي "سرمت":

- هل حضرت قصصك الساخرة التي سترويها لوالد الفتاة ؟ .

ركبنا الترمواي
- رجاء يا "سرمت" أزل هذا البلاء من قدمي .
- لا تخلعه سيتوسع بعد قليل .
على ما يبدو أنه لن يتوسع ، وبسبب الألم قلت له :
- سأخلعهما وعندما ننــزل من الترمواي انتعلهما ثانية.
وأية حال وصلت إليها حتى أشفق علي الركاب والمراقب و الجابي ، لذلك هبوا جميعا لمساعدتي في خلعهما ، حاولوا كثيرا إلا أنهم فشـــلوا .
أحد الركاب قال :
- لنقصهما وننقذه .
قلت له :
- لا !! .
كيف سيقصه و بألف يا ويلاه جمعنا ثمنه ، خاصة أن في أعمـــاقي أملا بتوسع الحذاء وانتعاله براحة .
نزلنا من الترمواي و أنا أصرخ متألما ،أتـــأوه و أتأخـــأخ و لم أدر كيف مشينا .
في الطريق سألني "سرمت":
- هل حفظت القصص الساخرة التي سترويها ، رجاء قل له ما تشـــاء و أضحكه ، لأنه عندما يضحك سيلينّ و سيزوجني ابنته . رجاء ارو له نكات جحا و لا تنس قصصا أخرى .
عندما وصلنا إلى البيت لم أعرف كيف ألقيت بنفسي على الديـوان و غطيت وجهي بيدي .
- سألنا والد الفتاة :
- ما سبب زيارتكما .
راح " سرمت" يستغيث بنظرات حتى كاد أن يبكي . أما أنا فلـــم

أستطع التفوه بحرف واحد . كنت أتصبب عرق الموت ، ووجهي محمـــرا كالشوندر . و كل قطعة من جسدي تلتهب من الحمى .

لا حظ " سرمت " أن لا أمل مني بالمساعدة ، لذلك انفكت عقـدة لسانه وراح يثرثر ويروي الحكايات ، بينما كنت أتصبب عرقا .

سألتني والدة الفتاة :

- لم لا تتحدث ؟ .

أجابها " سرمت " :

- إنه خجول جدا يا سيدتي .

يداي بين فخذي ، و أنا أتقلب من الألم ، أثناء ذلـــك أحضـــرت محبوبة " سرمت " القهوة . من ينظر في وجه الفتاة يهرب إلى آخر الدنيا، جازاك اللــــه يا " سرمت " أمن أجل هذه الفتاة كل هذا.

في النهاية نجح " سرمت " في رواية كل ما حفظ من قصــــص ســـاخرة كذلك نجح في إضحاك الرجل و زوجته حتى " طقت خواصرهما " ، وجـــهي متغضن من الألم ، وفي عيني أشعر بشرارة تشبه البرق.

أخيرا عرض " سرمت " رغبته في الزاوج من ابنتهم . أجابه والدها:

- لنفكر بالأمر .

بينما قالت والدها :

- خير ا إن شاء اللــــه ، إنها القسمة و النصيب .

بعد ذلك سألني هل أنت أعزب ؟ .

عندها أجبتها مطأطئا رأسي:

- نعم .

كانت الكلمة الوحيدة التي تفوهت بها.

بعد خروجنا من عندهم تركني " سرمت " غاضبا بعدما أنبني قائلا:

- أي صديق أنت ؟ . يا خسارة .

هكذا بقيت وحيدا وسط الزقاق ، جلست على الرصيف ، كنت سأمشي حافيا لو استطعت خلع حذائي . لكنه التصق بقدمي . فلم ينخلع و كأنه أصبح جزأ من جسدي .

لا أدري كيف وصلت إلى مركز الجريدة . و ألقيت بنفسي على أريكتي متمددا :

– أنقذوني يا أصدقاء ؟ .

حاولوا كثيرا دون جدوى :

– قطعوه ، قطعوه .

كل واحد منهم حمل سكينة أو مشرطا أو موسى حلاقة .

اقترح أحد الأصدقاء قائلا :

– هذا اختصاص طبيب ، لا بد من عمل جراحي .

لقد التصق الحذاء بقدمي لدرجة أنهم قطعوه ، و مع ذلك لم ينخلع، و أخيرا نجحوا بعدما قطعوه إربا إربا . و بذلك استطاعت قدمي معانقة حريتها . وأنتم تعرفون معنى ذلك .

ثلاثة أيام لم أستطع المشي بتاتا . و كل ما حدث تم بعد ذلك .

سابقا ، كنت انتعل ثمانية وثلاثين لكن بعد ذلك ، حتى الأربعين بات ضيقا على قدمي ، فقد كبرت قدماي بعدما عانقتا حريتهما ، ألسنا هكذا نحن بني البشر عندما نتحرر من أي احتجاز ومهما طال أمده نتضخم ولا نستطيع الدخول من باب البيت .

بعد أربعة أيام قدم إلي والد الفتاة التي طلبها " سرمت " ، وبعدما تحدثنا بمواضيع شتى قال لي :

– قررنا أنا وزوجتي ، تزويجك ابنتنا .

ذهلت مما سمعت :

– لم ؟ لم أفهم ....

- لأننا أعجبنا بك كثيرا ، لم يصادفنا طوال حياتنا شابا خجولا مثلك ، لم نر شابا ذو تربية عالية مثلك . يوم أتيت إلينا كنت تقطر عرقا من شدة الخجل ووجهك مبقع حمرة ، لم تتفوه بتاتا مطأطئ الرأس ، شرف لأي عائلة دخول صهر مؤدب إليها

- وماذا عن صديقي ...ماذا سيحل به ؟ .

- أرجوك اتركه ، فهو ثرثار أحمق ، وقليل الحياء . تصرف بشكل غير عقلاني ، حسب ظنه أنه كان يروي قصصا ونكات . لا فتاة عندي كي أزوجه .

راح الرجل يزورني مرة كل ثلاثة أيام ممتدحا تربيتي و حيائي :

- أنا بحياتي ... مثلك مربى ، ذو أخلاق عالية ، وجهك يقطر حياء ... لا تدري أين تضع يديك...

- يا سيدي أنا لا أفكر بالزواج الآن .

- فكروا بالأمر .. سآتي ثانية و نتحدث بالموضوع .

و هكذا أخذ الرجل يزورني كل يومين أو ثلاثة أيام ليتحدث ممتدحا حيائي ، تربيتي :

- لم أر شابا ذا تربية عالية ، و أخلاق ... وجهك مبقع حياء .. لا تعرف أين تضع يدك ...

ذات يوم لم أستطع ضبط أعصابي ، أخرجت من درج طاولتي قطع حذائي ذي السبعة والثلاثين ملفوفة بجريدة و ألقيت بها أمامه وصرخت به:

هاهو الأخلاق والتربية والخجل خذه وزوجه ابنتك ! .

تذكروا عندما تنوون الذهاب لطلب يد فتاة أن تنتعلوا حذاء ضيقا.

الشركة المساهمة

" لتحرير الأسر والعائلات "

أثق تماما أن الكتاب الذي سيصدر قريبا في أمريكا سيلاقي نجاحا واسعا لا نظير له ، و أنه سيترجم إلى لغات كثيرة و سيحدث ضجة كبيرة ، وسيكون له صدى واسعا في كل الدنيا .

تجمعني بالكاتب الأمريكي الذي كتب الكتاب و لم يطبع بعد علاقة صداقة . إذ تعرفت عليه في استنبول قبل أربع سنوات ، حدثني يومها عن تفرغه لكتابة عمل في غاية الأهمية . منذ تلك الفترة ونحن نتخاطب بالرسائل، و في كل مرة كان يحدثني عن كتابه .

قبل شهرين أنهى كتابة كتابه ، و أرسل لي نسخة عن مخطوطه مرقون على الآلة الكاتبة ، يسأل رأيي و ملاحظاتي ، و بالفعل ابديت ملاحظاتي على الشكل التالي :

" سينال هذا الكتاب اهتماما واسعا و سيشهد نجاحا باهرا و سيحدث ضجة في كل أنحاء العالم ".

يتحدث هذا الكتاب عن منظمة سرية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكيف تحولت هذه المنظمة إلى شركة مشتركة. اعتمد الكاتب أثناء اشتغاله بالكتاب على مجموعة و ثائق حقيقية ، و أحداث واقعية . لم يكن هذا العمل نسج خيال الكاتب . في بعض الأحيان وجد

نفسه مضطرا إلى تبديل بعض أسماء الشخصيات و هذا ما يقتضيه العمل الروائي ، لأنه كما يستشف من هذا العمل الوثائقي أنه في أحداثه يتناول مسؤولين و سياسيين رجال أعمال حتى .

إن وثائقية هذا العمل أخر في إنجازه طيلة هذه السنوات . و السبب يعود إلى صعوبة تجميع آلاف الوثائق السرية والعلنية .

هناك جانب ممتع آخر في هذا الكتاب ، وهو ،كيف تتحول منظمة سرية إلى شركة مشتركة تفوق أرباحها أرباح البنوك الأمريكية ، الشركات النفطية ، تروستات الصحافة ومصانع الأسلحة شركات صناعة السيارات. إضافة إلى كل ذلك إنها بغض النظر عن أنها من أكثر المجمعات ربحا فهي لا تسدد الضرائب .

ستة شباب يؤسسون منظمة سرية في كاليفورنيا امرأتان و أربعة رجال .

هذه المجموعة ليست مجموعة من" الحثالى " ! . ثلاثة منهم أنهوا المرحلة الجامعية والرابع طالب جامعي والخامس موظف شاب و الأخير يعمل في التجارة . هؤلاء الستة تحدوهم الرغبة أن يكسبوا المال الوفير و أن يصبحوا أغنياء بين ليلة وضحاها لذلك قاموا بتأسيس منظمة سرية تهدف إلى اختطاف زوجات كبار الأغنياء في أمريكا و من ثم الإفراج عنهن مقابل فدية .

لكنه ليس من السهولة بمكان تأسيس منظمة سرية في دولة مستويات المعيشة فيها عالية مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، منظمة تقوم باختطاف الناس ، كي تحصل على فدية . و للحصول على هذه الفدية لا بد من الاحتفاظ بالرهينة في مكان سري ، وهذا الأمر ليس بالشيء السهل .لذلك فإن تنفيذ مثل هذه الأعمال يتطلب رأسمالا ضخما .

في الدول المتخلفة تكثر السرقات والنهب و أعمال السطو على البنوك والتهريب بسبب فقر الشعب و رغبة في الحصول على الأموال .

أما الدول التي تتميز برفاهية عالية مثل الولايات المتحدة . فأعمال السرقة و التهريب و الاختطاف فيها تحتاج إلى رأسمال . لذلك عمل الشباب الستة على تجميع كل ما لديهم و بيع كل ما في حوزتهم و الاستدانة قدر الإمكان ، حتى استطاعوا تأسيس منظمة سرية . بعدها خططوا من سيختطفون وكيف ، وبما أنهم مثقفون و ذوو قلوب طيبة لذلك استبعدوا مسألة اختطاف الأطفال من قائمتهم . و أول عملية اختطاف كانت لزوجة أحد كبار رجال الأعمال في سان فرنسيسكو ، تم اختطافها كما خطط تماما ، و احتجزوها في " فيللا " مستأجرة مسبقا بعيدا عن المدينة ، بعد ذلك نشروا نبأ اختطافها في الصحف والراديو و التلفزيون طالبين فدية من زوجها المليونير ثمانين ألف دولار . و قد هددوا بقتلها بعد ثلاثة أيام إذا لم يتم دفع الفدية في مكان تم تحديده مسبقا .

لم يحرك هذا الإعلان مشاعر الرأي العام لأنهم ملوا الاختطافات لكثرتها لذلك لم تعد تهمهم هذه الأمور .

انتهت المهلة المحددة و لم يدفع المليونير الفدية المطلوبة . لذلك مددت المنظمة السرية المهلة لمدة أربع و عشرين ساعة . ثانية لم يدفع الزوج المبلغ المطلوب .

فكر أعضاء المنظمة السرية ، ماذا سيفعلون بهذه الرهينة ؟ . لو رغبت في رميها لا ترمى . و لو رغبت في بيعها لا تباع . و احتجازها داخل " الفيلا " مكلف و هم مضطرون للإنفاق عليها ، عدا عن ذلك فهي وردة المجتمع الراقي الذابلة لا يعجبها العجب مدللة للغاية ، لا يعجبها أي طعام ، لذلك كانوا يحضرون لها طعاما خاصا ، تطلب حلاقة ماهرة كي تزين لها شعرها و تطلب " المنيكور " و " البديكور "

إضافة لمساج يومي . عدا عن ذلك فهي تتناول أنواعا مختلفة من أدوية الأعصاب . كذلك أشياء و أشياء ...

كانت هذه المنظمة تتمنى الإفراج عنها حتى لو لم يدفع زوجها الفدية . إلا أنهم كانوا يخشون من أن تبلغ رجال الشرطة . وبذلك سيعتقلون جميع أفراد تلك المنظمة . أخيرا اتجه اثنين من المنظمة للتفاوض مع زوجها المليونير .

وهناك يجد المليونير أن المبلغ المطلوب كفدية عن زوجته العجوز كبير ، لذلك يخفض الخاطفون المبلغ إلى سبعين ألفا ، يقول أن زوجته لا تساوي هذا المبلغ ، يقوم الشابان اللصان بحسم عشرين ألف دولار وبذلك تصبح الفدية خمسون ألفا ، إلا أن المليونير يكرر ثانية أن زوجته لا تساوي هذا المبلغ :

- لنحسم لك المبلغ ثانية ويصبح أربعون ألفا .

يجيبهم الزوج :

- لا ، لو كان ذلك قبل عشرين سنة لقمت بهذه المغامرة ودفعت المبلغ كي انقذ زوجتي ، أما الآن فلا تستأهل هذه المغامرة .

يتبادل الخاطفان النظرات بذهول . .

- كلمة أخيرة كرمالك ثلاثين ألف : ماذا تقول ؟ .

يرفع الزوج رأسه قليلا.

- حسنا خمسة و عشرون ألفا .ثقوا أن هذا من أجل خاطركم ، و لغيركم لم ننتنازل إلى هذا الحد .

عندما لم يتفوه الزوج ثانية يخفضون إلى العشرين بعد قليل خمسة عشر ألف دولار وعندما لم يتفوه ثانية ذكروه تبرعه بمبلغ خمسة عشر ألف دولار لمنظمة حماية القطط الشاردة . حول هذا الموضوع قال لهم رجل الأعمال المليونير أنه يحب القطط كثيرا و أن منظمة حماية القطط

الشاردة بكونها منظمة خيرية رسمية و أن تبرعه هذا سيخفض من ضرائبه السنوية . أما المنظمة التي اختطفت زوجته فبما أنها مؤسسة خيرية غير رسمية و غير مصدق عليها من قبل الحكومة فهذا يعني أن المبلغ الذي سيدفعه سيكون من جيبه الخاص

في هذا الموقف عمل الشابان على تخفيض المبلغ إلى العشرة آلاف دولار و أقل من ذلك قالا " تخسر معنا " . يلتفت رجل الأعمال إلى الخلف ويخرج من " البوفيه " زجاجة الويسكي ليملأ كأسه .

راح الشابان يشرحان له أن تأسيس منظمة سرية و اختطاف امرأة، وتأمين مكان خاص يليق بمكانتها الاجتماعية لإخفائها عدة أيام تتطلب نفقات باهظة .

- ثقوا تماما يا سيدي ومن أجل خاطركم لن نأخذ سوى ما صرفناه .. وهكذا برأسماله سنفرج عن زوجتك...

مرة أخرى لم يرد المليونير و لم يتفوه .

- يعني سنخرج من المولد بلا حمص ؟ .

- أجابهما المليونير :

- نحن لا نخرج أحدا من المولد بلا حمص " . سأقول لهم أن يعطوكما وأنتما خارجين من هنا مساطر من معجون الأسنان من إنتاج مصنعنا.

عادا الخاطفين بخفي حنين . بعدها تم اتخاذ القرار بالإفراج عن السيدة و اختطاف زوجها المليونير ، تم تنفيذ ما خطط و احتجازه في إحدى الفيلات بعدها تم الإعلان بمطالبة الزوجة بثمانين ألف دولار كفدية للإفراج عن زوجها . تنتهي المدة المحددة والزوجة غير مبالية حتى أنها لم تهتم بالأمر . مددوا المهلة ثانية و الزوجة لا مبالية و أخيرا اتجهوا إلى الزوجة للتفاوض معها ، و إذ بالزوجة عديمة الوجدان أكثر من

زوجها ، تقول صارخة بأنها لا تدفع عشرة سنتات لتخليص زوجها عندها وجدوا أنفسهم مضطرين لتهديدها بقتله .

و هنا سرت في أعماق الزوجة سعادة ، حاولت إخفاءها لكن عينيها فضحتاها وقالت :

- لا يحق لي التدخل في شؤونكم .

يعود أعضاء منظمة الاختطاف السرية إلى الفيلا ليبلغوا رجل الأعمال المليونير عن الإفراج عنه ، يرفض الرجل مغادرة الفيلا ، متوسلا عدم طرده منها ، سألوه عن السبب أجابهم يفضل البقاء ليس في هذه الفيلا الفارهة بل في كوخ حقير أو في زنزانة بعيدا عن سياط لسان زوجته الثرثارة ، يقولون له بقاؤه هنا سيعيق ويعرقل عمله. يقول لهم لا لأن خبراء مشهورين يديرون أعماله .

عندما قاموا ليجروه ويلقوا به خارجا بالقوة يقول لهم :

- سأعطيكم عشرة آلاف دولار كي لا تفرجوا عني و ترسلوني إلى زوجتي الذئبة .

عندما رفضت المنظمة السرية هذا العرض رفع المبلغ إلى العشرين ألفا ، بعد ذلك جلسوا إلى مائدة المفاوضات. بعد مفاوضات معقدة توصلوا إلى نتيجة مفادها أن على المليونير تسديد مبلغ وقدره ثمانين ألف دولار كي لا يفرج عنه ، عندها يسألونه لم لم يسدد هذا المبلغ عندما طلب منه للإفراج عن زوجته عندما كانت مختطفة ؟ أجابهم قائلا :

- أنتم طلبتم المبلغ مني للإفراج عنها لكن لو طلبتم المبلغ لاختطافها لدفعته مسرورا .

بعد هذا الحديث يتوجه الشباب أعضاء المنظمة السرية إلى زوجة المليونير ويطلبون منها مبلغ ثمانين ألف دولار مقابل عدم الإفراج عن زوجها . تتوسل الزوجة بعدم الإفراج عنه وبعد مفاوضات مطولة توافق

الزوجة على تسديد المبلغ المطلوب . بعد هذه التجربة تقوم المنظمة باختطافات عدة وفي جميعها لم يسدد الزوج أو الزوجة الفدية للإفراج عنه أو عنها على العكس كانوا يسددون المبلغ مباشرة لاختطافهم بعد ذلك راحت المنظمة السرية توسع أعمالها وتسمي نفسها بـ " جيش تحرير العائلة " وبعدها تتوسع أعمالها أكثر لتصل إلى مستوى شركة لها فروعها في عدة ولايات من الولايات المتحدة الأمريكية لتحرير العوائل الأمريكية بعدها يتم تأسيس شركة علنية ٥١% من رأسمال الشركة للشباب الستة أما النسبة الباقية فتوزع كأسهم يكتتب عليها من قبل الشعب .

تتوسع شركة جيش تحرير العائلة وتزداد أرباحها لدرجة أنه لا توجد شركة في الولايات المتحدة و لا مصنع و لا تروست و " هولدنغ " تصل أرباحها إلى أرباح هذه الشركة . لذلك فهي تحصل أكبر ريعية أرباح في الولايات المتحدة خاصة و أنها معفاة من الضرائب لأن هذه الشركة كونها تتعامل في مجال اختطاف الأشخاص فهي ليست شركة علنية . على كل حال هي منظمة سرية ، و طالما أنها ليست قانونية فلم لا تغلق ؟ . لأن هذه المنظمة تدفع رشوة باختطاف مجاني لزوجات بعض المسؤولين المهمين القادرين على إغلاقها . حتى أن بعض الشخصيات التي تتبوأ مناصب قيادية عليا طلبوا مساعدة الشركة المساهمة لتحرير العائلة . حتى أن هذه الشركة وضعت احتمال دخولها في عداد الهيئات الخيرية في أمريكا . أن هذه الشركة كانت تقوم باختطاف الرجال آخذة بعين الاعتبار العدالة الاجتماعية فمثلا عندما تختطف الزوج لمدة ثلاثة أشهر بعد ذلك تختطف الزوجة فترة زمنية بعد الإفراج عن الزوج مقابل ذلك تحصل على الأموال من الزوج و الزوجة وهما مسروران.

هذا باختصار الكتاب الذي حاولت إيجازه للكاتب الأمريكي

الذي اعتمد في كتابته على الوقائع والوثائق . يعد هـــذا الكتـــاب الآن لعرضه على المسرح و هو لم يصدر بعد . أعتقـــد أنكـــم ستتســـاءلون ولديكم حب المعرفة أيعقل أنه لم يسدد أحد منهم فدية الإفراج؟ لأنني أنا بدوري اهتممت بذلك . نعم هناك العديد من رجال الأعمال ممن ســـدد مبالغ استمرار احتجاز زوجاتهم قاموا في نفس الوقت تســـديد الفديـــة للإفراج عن سكرتيراتهم المختطفات طبعا ، لأن غيابهن عن العمل يعرقـــل سير العمل لذلك فهم يسددون لافتدائهن.

لا تنسوا أن الكتاب سيسمع صداه في كل أنحاء العالم و ســـيترجم للغات متعددة عنوانه " الشركة المساهمة لجيش تحرير العائلة "

ملاحظة : عندما انتشرت هذه القصة في صحيفة قام العديد مـــن القراء رجالا ونساء بالاتصال هاتفيا إلى البيت. مستفسرين عن حقيقـــة وجود هذا الكتاب . وما يفهم من ذلك هو ضرورة تأســـيس منظمـــة شبيهة.

الرجل المبارك

والله يا حسين أغا ليست مضمونة هذه الأشياء. ضربته لم ينصلح ، شتمته كذلك لم ينصلح . قلنا قد يتحسن هذا " الترس " فيما لو خدم في الجيش ، ذهب وخدم ، إلا أن أموره لم تتبدل . إذن زوج هذا الكلب، زوجته والحال بقي كما هو ، و في النهاية ،لم يبق أمامنا إلا طرده من الضيعة . تستغرب عندما يخرج من ضيعته إلى ضيعة أخرى كيف يعود إلى جادة الصواب ويصبح آدميا بكل معنى الكلمة .

لا أحد يصبح عظيما في محله فكما يقول المثل " زمار الحي لا يطرب " .

حتى أنبياؤنا فقد واجهوا أول ما واجهوا معارضة كانت داخل قبائلهم .نعم هذا صحيح، هل سمعت بأن أحدهم أصبح نبيا بين أهله ؟ . حتى نوح عليه السلام قالوا له لن نعترف بنبوتك . . هكذا عاملوا النبي العظيم.

لا يجوز يا حسين أغا ، الكلمة هنا في البداية لا تفيد ، عليك باستخدام العصا عندما لا تفيد العصا ، قلت لك أرسل هذا الملعون إلى العسكرية لأن صفعات قائد الفصيل تحول الذئب إلى كلب أليف ، عندما وجدت أن هذه الصفعات أيضا لم تفد إذن زوجه ، لأن الزوجة تعيد النذل إلى صوابه ، وعندما وجدت أن الزواج أيضا لم يكن ناجعا أضربه

على قفاه واطرده .

في قريتنا كان خنـــزير اسمه مراد ، لم تشهد قريتنا مثل هذا المنحـط التافه ، ابنك يا صديقي عندما تقارنه به تجده كأنه معجون بماء الورد .

عندما كان في العاشرة من عمره كان يضرب أمه وأخته . . ضيـق علينا عيشتنا وجعلنا نشعر بقريتنا الكبيرة صغيرة . قلنا له ولك يا بني ، يا مراد لا تقم بهذه الأفعال الشائنة . لكن دون جدوى .. راح يثبت النعال المعدنية على أقدام الكلاب ويربط التنكات على أذيال القطط . يدلق الماء من المداخن . يقوم بما لم يقم به الشيطان .

ذات يوم ذهبنا إلى صلاة الجمعة . الجميع هناك ، تأخر الإمام قليلا. من يشاهد وجه الإمام عندما قدم يستلقي أرضا من شدة الضحـــــك . تحول وجهه إلى لوحة فنية ، لونها الخنـــزير بالأخضر و الأحمر و الأصفـو و الأزرق يعني بكل الألوان .

عندما دخل الإمام ألقى التحية وقال :

- السلام عليكم .

لم يستطع أحد منا الرد على تحيته ، لأننا كنا نفرقع من الضحك .

يومها قام هذا الخنـــزير بتخطيط وجه الإمام بإصبعه بالألوان عندما تمدد تحت شجرة بلوط كبيرة بجانب بحيرة وغفا نائما . أمسكنا بـــــذاك المنحط ورحنا نضربه " ولك ماذا فعلت ؟. صمت بداية ثم قـــال لقـــد قمت بذلك كي أثبت لكم أن الإمام يصلي فيكم دون وضوء . بـــالفعل لو توضأ الإمام يومها لأزيلت الألوان من على وجهه . لاحظ الخنـــــزير ما يقوم به الإمام لذلك فعل فعلته .

بطحناه على الأرض ورحنا نضربه ضربا مبرحا ، دون أن يتفـــوه بكلمة واحدة .

والله يا حسين أغا إن الحديث عن خنـــزرة هذا الخنـــزير لا ينتـهي

..

عندما بلغ الرابعة عشر من العمر ، أخذ أرملة كانت في ضيعتنـــا ، كنا نسميها " الحاجة فاديك" ، أرملة تجاوزت السبعين من العمر واتجها إلى الجبل ، وبقي معها هناك ثلاثة أيام.

رحنا جميعا يومها نبحث عنها طيلة تلك الأيام.

داهمناهما حيث كانا موجودين ، وإذ هما في وكر للذئاب ، مغارة مهجورة في أعلى قمة جبل جرداء .

هذا الخنـــزير وبجانبه زجاجات العرق يصفق وهي ترقص ، عجوز شمطاء ترقص وهي عارية تماما .

وانهلنا عليه بالضرب "ولك يا منحط ... يا عـــديم الشـــرف " "بصقنا على وجهه " ولك وسخت صورة قريتنا. قريتنا في حياتها كلــها لم تشاهد مثل هذه الدناءة و هذه الحقارة .

قال لنا هذا الخنـــزير متفاخرا "هدفي هو عمل الخير ، و جـــبران الخاطر. لأنكم لم تلتفتوا إلى هذه الفقيرة و لم تسألوا عن حالها و أحوالها".

رحنا نضربه بكل ما أوتينا من قوة بينما اختبأت الخالة " فـــاديك " خلف ذاك الخنـــزير كي تستر نهديها ثم راحت تتوسل إلينا قائلة :

" اتركوه .. أنا موافقة على ذلك فهو بمقام حفيـــدي ، وليفتـــدى بألف " فاديك " كرمى لشهامته... "

أثناء ذلك استطاع ذاك الخنـــزير أن ينسل من بيننا ويهرب مثـــل الكلب السلوقي وهو يصرخ: " ولك قوادين ، طالما أنا راض بذلك والخالـــة " فاديك " راضية فما دخلكم أنتم "

أه يا حسين أغا أه ، لم تشاهد مثل هذه الوقاحة ولن تشاهد ، مهما تحدثت لك عن أفعال ذلك الخنـــزير فلن أنتهي .

ذات مرة شب حريق في قريتنا وعلى أثرها لف الدخـــان كـــل

أرجائها .تقصينا عن مكان الحريق و إذ بمتبنة سيمين تلتهمها النيران من كل أطرافها . مسكين سيمين هو مناوب في الثكنة وزوجته الشابة لوحدها في البيت والمتبنة تلتهمها النيران من كل جوانبها ولك لا يقوم بهذه الفعلة إلا الخنزير مراد . لذلك أمسكنا به ، ولك لم قمت بذلك يا خنزير ؟ . لم يلحق أن يقول " انتظروا قليلا لتعرفوا لماذا قمت بذلك " وإذ بصوت رجل وامرأة يسمع من الداخل :

أنقذونا .. إننا محاصرون . وصلت النيران حتى الباب والنافذة .

ظهر المختار وزوجة سيمين قرب النافذة قبل أن نتساءل من هما صاحبا الصوتين .

- يا مختار ، ماذا تفعل في متبنة امرأة زوجها غائب ؟.
- لا تسألوني ، حاصرتنا النيران بينما كنت أحاول مساعدتها .

قلنا له وبما أن ارتفاع النافذة قدر علو حمار:

- لم لا تقفز يا مختار ؟ ...
- لا أستطيع لأنني عار ليركض أحدكم إلى البيت ويحضر سروالي .

أه يامختار أيعقل أن يهرع المرء إلى مكان الحريق عاريا ؟ . من الواضح أنه عندما سمع بالحريق نهض من فراشه وهرع نحوه كي يطفئه ، أليس هو مختار الضيعة ؟ .

بينما كانت تلك المرأة تصرخ من الداخل :

- أمان يا جيراني ، إننا نحترق ، أحضروا لي ثيابي و حذائي .
- ولك وهل زوجة سيمين أيضا هرعت عارية نحو الحريق .

حذرنا ذاك الخنزير قائلا :

- إياكم أن تفكروا بمساعدتهما وتحضران لهما السروال والمنامة ، والله احرق بيوتكم ومتابنكم وسأهدمها فوق رؤوسكم .

يفعلها هذا إن رغب .. لأنه بلاء مسلط فوق رؤوسنا .

ضبط المختار و زوجة سيمين عاريين ليلا لذلك أخفى ثيابهمـــا ثم هرب بعدما أشعل النار في المتبنة .

لقد تورط المختار بمصيبة مخجلة ، لذلك فهو لا يستطيع الخـــروج عاريا . التم جميع أهل القرية على صوت شجار المختار مع زوجة سيمين على " بودعة " حيوان مع مسنده وجداهما داخل المتبنة كل منهما يحلول ستر عورته بهما .

قالت له وهي تصرخ به :

- هيا أخرج فأنت رجل لا يهمك إن كنت عاريا .

أجابها المختار قائلا :

- ولك يا ابنة القحبة أنا المختار هنا من يوم يومي ، أيعقـــل أن يظـــهر المختار أمام الخلق بهذا الشكل؟.

ألقت زوجة سيمين بنفسها من النافذة عندما سقطت بصة نار على شعرها الطويل وهي تصرخ بأعلى صوتها:

- يا قوم ليغض الرجال من أبصارهم لأن النظر إلى العورة إثم كبير .

وهربت إلى بيتها وهي تستر عورتها من الإمام بيد ومن الخلــــف بالأخرى . ومن خلفها قفز المختار من النافذة شادا على ظهره بردعــــة الحمار كمئزر حمام ومن فوقها وضع اللباد ليركض على أربعة .

ضج الجميع بالضحك حتى أنهم نسوا الحريق والمريق.

يا أخي حسن أغا إن " فصول ومقالب " هذا الخنــــــزير مــــهما عددت فهي لا تنتهي . لذلك نفض الجميع يده منه. ليـــس خنـــــزيرا فحسب لذلك اتفقنا بأن نرسله إلى الخدمة العسكرية كي نتخلص منــــه ومن مصائبه ، وجدنا شاهدي زور ، وكبرنا عمره في المحكمة . وهكـذا أرسلناه إلى الخدمة الإلزامية . أتعرف ما معنى صفعة العريف؟. نعـــم . فليصفع وليضرب كي يصبح بني آدم . وبعد ستة أشهر إذ بنا نسمع بأنه

رقي إلى رتبة عريف.. ولك لن تجد الآن من يصفعه ويؤدبه ، وهذا يعني أنه سيخلق الفوضى داخل الجيش . بعد مضي عام على التحاقه بالخدمة العسكرية سمعنا أنه رقي إلى رتبة رقيب ، وهكذا راح أهل القرية يضربون ركبهم تندرا. ولك هذه العسكرية لو تستمر معه خمس ، عشر سنوات لأصبح برتبة نقيب أو رائد .

هذا يعني أنهم حددوا الخدمة الإلزامية بسنتين لمثل هذا الخنزير وأشكاله . وبعد مضي عامين عاد الخنزير مراد نمرودا . ولم يستطع أحد الاقتراب منه لشدة غطرسته وغروره وهكذا أصبح يطلق على مراد هذا بمراد شاويش ، راح مراد شاويش وأتى مراد شاويش .

يا هوه لم نستطع التخلص من أعماله عندما كان مراد الخنزير ، فكيف الحال الآن و قد أصبح العريف مراد ؟. أيعقل أن نقف أمام تصرفاته بعدما أصبح العريف مراد ؟ .

نعم هذا ما حصل ، وهكذا ، صرنا نعاني منه الأمرين .

احتمع أهل القرية واتفقنا على أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يلجمه هو الزواج ، لنزوجه وليقع على وجهه طب . قال يومها " أنا اليوم العريف مراد لذلك لا أرضى إلا بالزواج من فتاة أختارها ، و لا أدفع مهرها " وطلب الزواج من ابنة شكر أغا . شكر أغا هذا رجل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . و هذه الفتاة وحيدته ، و أية فتاة مثل الوردة والله .

اجتمعنا واتجهنا إلى شكر أغا وقلنا له :

- أمان يا شكر أغا ، حل كل المشاكل باتت متعلقة بك هيا لنتكاتف ونضع حدا لهذا الخنزير ، و إلا سنهاجر جميعنا من القرية . لقد جعلنا نشعر أن القرية الكبيرة قد ضاقت في وجوهنا . سنجمع فيما بيننا كل ما تطلبه مهرا لابنتك .

وهكذا زوجنا مراد الخنزير . لكن على ما يبدو أنه ازداد خنزرة بعد زواجه ، كان الجميع يتجه إلى عمله أما هو فيشرب ليسكر وبعد ذلك يصرخ قائلا :

- ولك يا أنذال إنكم توفون الرجل الحي ، وتزوجونه بامرأة ميتة لتستولوا على تركاته سآخذ منكم " خوة " وستنفقون علي .

قلنا له اصمت ولا تفضحنا وسننفق عليك ، لكنه على العكس كان يزيدها علينا بعد سكره .

ذات يوم اجتمعنا في مقهى القرية مصطحبين معنا ذاك الخنزير ، قلنا له :

- يا بني يا مراد ، يا حضرة العريف ، قل لنا ما حاجتك كي نلبيها ؟ .

لكن أتتوقع أن يقول ذاك الخنزير :

- نصبوني مختارا عليكم !!!

- انظر إلى هذا الكلب ماذا يطلب . سيمرغ وجه القرية تماما بالوحل .

- غضب كثيرا عندما لم نلب طلبه .

- إذا كنتم غير راغبين بذلك إذن عينوني إماما .

ولك أيعقل أن يصلي المرء خلفه ؟ .

وهكذا ازداد هذا الخنزير ضراوة وشراسة . راح يقوم بمهاجمة البيوت بعد إرسال النساء إلى الجبل وينهب المواشي ويحرق الحقول ... لقد أذاقنا الويل

- ليس أمامكم إلا أن تعينوني إماما و إلا سأنهيكم و سأقضي عليكم .

نعم ، قلنا لنقضي عليه قبل أن يقضي علينا. اقتحمنا عليه البيت وهو نائم وأوثقناه بالحبال وكورناه وحملناه إلى الجبل ، وهناك قلنا هيا يا شباب تجاسروا وليضربه كل من يحب الله ، وهكذا راحت العصي تتهاوى عليه . حتى جعلنا منه كالقطن المندوف

- تريد أن تصبح مختارا هاه ؟ . خذ هذه عصاه المخترة

- وهذه عصا الإمام .

كلب بسبع أرواح ، انتفض وفلت من بين أيدينا ، ثم وقف أمامنا صارخا :

- دعوني أصبح إماما لأريكم أيها القوادون العهر .

راح يترنح بمشيته ثم ابتعد .

هيا اترك القرية وخلصنا من بلائك ، و إنشاء الله تصبح ليس إماما فحسب بل شيخ المشايخ .

هكذا تخلصنا من هذا البلاء بهذا الشكل يا حسين أغا ، و بذلك ارتاحت القرية .

بعد فترة طويلة أتى شهر رمضان المبارك ، حتى أننا نسينا اسم هذا الخنزير. اتفقنا مع أحدهم كي يصبح إمام جامع القرية . رجل مبارك لدرجة أنك لا تقبل يده وحسب بل قدمه ، إمام تقي وورع .كل حديثه هداية و كرامة .

بعد انتهاء شهر رمضان قلنا له :

- ابق هنا وندفع لك كل ما تريد.

لم يتركنا الإمام و بقي في قريتنا.

بعد فترة طويلة أتانا زائر من قرية بعيدة.

حوالي الظهيرة سمعنا ضجة من الجامع ظننا أن الجامع سيتهدم . هرعنا إلى الجامع وشاهدنا ذاك الزائر وقد بطح الشيخ تحته منهالا عليه بالضرب . خلصنا الشيخ من بين يديه بصعوبة بالغة وبطحنا ذاك الزائر على الأرض وقلنا له :

- أترفع اليد على شخص جليل مثل هذا الشيخ المبارك ؟ .

راح الزائر يصرخ قائلا :

- أي مبارك هذا ... أنه البلاء الأعظم في قريتنا لقد خـــدع زوجـــتي وأخذها إلى الجبل دعوني أقضي على عديم الشـــرف هـــذا . نعـــم وخدعكم ، أطال لحيته و أصبح إماما .

قمنا بتأديب هذا الزائر بشكل جيد و أرسلناه إلى قريته و اعتذرنـــا من شيخنا وطيبنا خاطره .

ذات يوم أتانا شخص آخر من تلك القرية راكبا على حماره وعندما رأى الشيخ استعجل بحماره نحوه و راح ينهال عليه بعصاه . خلصناه ثانية بصعوبة بالغة .

- دعوني أقضي على هذا المنحط ، سرق قطيعي وباعه في سوق المدينـة لقد خدعكم هذا المنحط بإطلاق لحيته و اعتبرتموه شيخا .

يا عيني ألا يتشابه الناس فيما بينهم إن الله خلق البشر أزواجا .

كلما قدم أحدهم من تلك القرية انتفض الدم في رأسه وهجم علـى ذاك الشيخ لذلك كلما سمعنا بقدوم أحد ما من هناك رحنا نخبئ الشـــيخ عنهم . لأنهم سيقتلون هذا الرجل المبارك لا محال .

أرأيت يا حسين ماذا يصيب المرء عندما يشابه شخصا سيئا .

وذات صباح يا أخي ، استيقظنا على صوت جلبة ، نظرنـــا و إذ بمجموعة رجال ممتطين الخيول من تلك القرية ، قدموا إلى قريتنا قائلين :

- إما أن تسلمونا "جنافر محمد" محمد الذئب أو نعلن عليكم الحرب
- ذلك المنحط الذي اتخذتموه شيخا لديكم ...
- توقفوا .. تعالوا لنتباحث .

لقد طوقوا قريتنا ، مصرين على أخذ شيخنا . وأرسلوا فيما بعـــد رسولا كي يفاوضنا .

بدورنا اخترنا بعض وجهاء قريتنا ذوي الحكمة والدراية . واتجـهنا إلى مقهى القرية كي نتباحث . قلنا لهم :

- يا أخوان قد تحرقون هذه القرية لكن لن نسلمكم هذا الشيخ ونحـــن أحياء ، شبه لكم هذا الشيخ بذاك الشخص الذي قلتم عنه جانــافر محمد ، لذلك لن نسلمكم إياه ، لأن في ذلك أمام الله إثم عظيم ، كـم من هؤلاء الأتقياء المباركين بقوا على وجه البسيطة في زماننـــا هــذا هاه؟. إن العالم باق بحرمتهم .

قال أحدهم :

- أنتم لم تشاهدوا رجلا مباركا ، فالرجل المبارك يجب أن يكون مثـــل إمام جامع قريتنا الشيخ مراد ،كل كلماته حكم و عظة ، لحيته حــتى سرته ، لا تطأ قدمه على الأرض دون وضوء و لا يخطو خطــوة دون بسملة ، فالشيخ الشيخ هو الشيخ مراد .
- مراد ؟!! . توقف .. ولك بس ما يكون مرادنا .. عيناه زرقاوان ؟ .
- هاه .
- أمان ، هل خنصر يده اليسرى مقطوع ؟ .
- هاه
- أيوجد ثألول على أنفه ؟ .آه !! .

بناء على هذه الأجوبة قلنا :

- تحركوا يا شباب لنهاجم هذا الرذيل ، ولنسحق روح هذا الكلـــب ، إذن هذا المنحط أصبح إمام القرية الجارة .

وهنا بدورهم راحوا يتوسلون قائلين :

- الأشخاص يتشابهون . يتشابه الشخص الشـــخص .. نخشـــى أن لا يكون سوء تفاهم بيننا . الشيخ مراد شيخ مبارك .
- واه من مراد الخنــزير ، هيا تحركوا .

كانت ستتداخل القريتان فيما بينهما لولا تدخل شكري أغا بقوله:

- توقفوا .. توضح الأمر الآن ، مراد الخنـــزير أطلق لحيته و أصبح إماما

في قريتهم و محمد الذئب كذلك و أصبح إماما في قريتنا ، لذلـــك لا داعي للمشاكل فهم راضون بمراد الخنـــزير ونحن بمحمد الذئب . لو طردناهما لذهبا إلى قرية أخرى وعاثا فيها فسادا . غير معـــروف أي رجل مبارك سيقدم إلينا لذلك تعالوا نتصافق فيما بيننا ، ولنغض البصر عنهما و ننسى ما سمعنا . وليبق ذاك المبارك هناك وهذا المبارك هنا .

وهكذا تفاهمنا وأكرمناهم وشربنا الشاي والقهوة ، وسقينا بـــاقي الفرسان العيران .

كانوا يرددون :

- واه ، لم نعرف قيمة محمد .

ونحن بدورنا رحنا نضرب على ركابنا أيعقل أن نفـــرط برجـــل مبارك مثل مراد ؟. تفوه لم نعرف قيمته .

منذ ذلك اليوم و مرادنا إمام تلك القرية ، يحمل على الـــرؤوس . ونحن نحمل شيخنا على الأكف .

هكذا يا حسين أغا ، لا تحزن . إن كان الولد كسولا ، و لم يلب طموحاتك . يجب أن لا يكون بمستوى الخنـــزير مراد . بداية عليـــك تأديبه بالضرب ، و إذا لم يتقوم أرســـله إلى الخدمـــة الإلزاميـــة ، و إذا وجدت أن أموره لم تتعدل ، زوجه و إن لم يتعدل أضربه على قفـــاه و اطرده وليذهب إلى قرية ثانية وهناك قد لن يجدوا له مكانا بوصفه رجـــلا مباركا.

لآلة الناظيك *

إذا كانتم ترغبون بعدم التورط بمصيبة ، فعليكم أخذ العبرة ممن تورط . قد تسفرون إلى أنقره وتسألون الزوجة والأصحاب :

– هل لكم ما تريدونه من أنقره ؟.

وتجدهم ينتظرون مثل هذا السؤال ويحملونك بشيء ما قائلين :

– من فضلك خذ هذا و أوصله إلى المكان الفلاني .

إياكم وأن تدوسوا على هذا الشرك ، لا تنقلوا ذاك الغرض ، ولكي تستفيدوا من مشكلتي ، وتستخلصوا العبرة ، لابد من أن تستمعوا إلي.

لكن لهذه المشكلة بدايات ومقدمات لا بد من شرحها.

سبق و أن قمت ببعض المقالب الخفيفة مع أصدقائي في الجريدة.

أحدهم عذرا " سرسري " كبير كثيرا ما يتحدث عن مغامراته ، كلما وجد مستمعا أطلعه على مغامراته . علما أن جميعنا يعرف أن هذه المغامرات فارغة وهي من باب التباهي و" البهورة وشوفة الحال ". قلت: لم لا أعمل له مقلبا ؟. كتبت ذات مرة رسالة غرامية على ورق الحرير بلسان فتاة، و أرسلتها بالبريد . على أساس أن تلك الفتاة تتابع كتاباته بالصحيفة وهي معجبة بها كثيرا ، لذلك فهي ترغب بالتعارف و أنها ستنتظره في الساعة الثالثة ظهرا أمام محطة سيركجي وبيدها حقيبة حمراء.

وصلت الرسالة . صاحبنا سيطير من الفرح .

لبس وتأنق وحلاقة ذقن بعد حلاقة ، ليتجه بعدها إلى المكان المنتظر . وهناك انتظر ساعتين ونصف ونحن بدورنا كنا نراقبه من المقهى المقابل .

ثانية استلم رسالة من تلك الفتاة . تعتذر عما بدر منها بسبب انشغالها بأمور هامة جدا . و أنها ستنتظره يوم الأربعاء الساعة الرابعة ظهرا أمام محطة بكر كوي للقطارات . ثانية اعتذرت الفتاة بسبب انشغالها ، متمنية اللقاء في محطة باشا هتشه النهرية .وثانية لم تأت . كتبت رسالة أن يلتقيا في منطقة لينينت

وهكذا ، رسالة بعد رسالة يتوضح أنها امرأة متزوجة ، لا تستطيع الوفاء بوعدها بسبب غيرة زوجها عليها ، لذلك اقترحت عليه اللقاء في مكان بعيد في بيوك أدا ، كيليوس ، فلوريا ، أوك ميدانه وهكذا استمرت مغامراته مدة شهرين أو ثلاثة أشهر وكانت ستستمر أكثر من ذلك لولا زواج صاحبنا هذا ، وهكذا تخلص من امكانية زيارة استنبول منطقة منطقه .

صديق ثاني مزحت معه مزحة خفيفة كانت على الشكل التالي:

ذات يوم كتب صاحبنا هذا مقالة قاسية جدا بحق إحدى الشركات الاحتكارية . بعد ثلاثة أيام من صدور المقالة المذكورة أرسلت إدارة الشركة المذكورة صندوق ليكور ، شمبانيا ، فودكا . أو بالأحرى هو كان يظن ذلك . يومها عرض علينا الصندوق متفاخرا وفي المساء وضع الصندوق المذكور في إحدى السيارات أخذه إلى البيت . وهناك أيضا تابع مفاخرته وبهورته أمام زوجته وحماته وأولاده قائلا:

- نحن ، عندما نريد أن نكتب مادة عن شخص ما ، نجهز عليه . انظروا لقد أهدتني إحدى الشركات صندوق مشروبات ثمنا لسكوتي ، لكني لست من يسكت أمام الهدايا ، في الغد سأريهم مادة أقسى .

مصدر شكوى صديقنا الآخر في مادته الصحفية هو صعوبة فتح زجاجة " العرق" بسبب قساوة الغطاء الفليني .

بعدما انتفش فترة على أهل بيته قال لهم :

- هيا افتحوا هذا الصندوق !.

فتح الصندوق بانفعال ، داخله حوالي أربعين خيارة كبيرة ضخمة.

ولكي لا تضيع حماته الفرصة أمسكت بأكبر خيارة بيدها وقالت له :

- انظر ، أي كاتب أنت !!! .

معروف من يقوم بمثل هذا العمل الدنيء ؟.. .

أما المزحة الخفيفة الثالثة التي قمت بها مع أحد أصدقائي فقد كانت على الشكل التالي:

هذا الشخص هو المدير الإداري لصحيفتنا ، وهو لا يقرأ سوى اللوحات و الدلالات التي تخص الحافلات ووسائط النقل الأخرى ، لم يشاهد وهو يقرأ صحيفة ما أبدا . فهو يهتم بالأبراج فقط.وهذه الأبراج أنا من يعدها لصحيفتنا . لكنه لا يعرف أنني معد تلك الزاوية .

كل صباح قبل كل شيء يفتح الصحيفة ليقرأ برجه .

ذات يوم كتبت عن برجه ما يلي :

ساعدوا أصدقاءكم قدر المستطاع ، وإذا طلب أحدهم منكم قرضا لا تردوه ، بذلك سيعطيكم اللـه أكثر... "

اتجهت إليه بعد الظهر وطلبت منه ثلاثمئة ليرة ، لو لم يقرأ برجه لما أعطاني ثلاثمئة قرشا ، لأنه بخيل وشحيح. قال لي :

- متى ستعيد المبلغ ؟.

- في الأسبوع القادم ..

أعطاني ما طلبته وبعد أسبوع كتبت ما يلي:

" فيما لو دينتم أحد أصدقاءكم مبلغا من المال لا تضغطوا عليه ،

سيبتسم الحظ لكم هذه الأيام ، وستحصلون على مبلغ كبير من المال من حيث لا تدرون ، استمروا في المساعدة وعمل الخير ، وإلا سيسوء حظكم ونصيبكم . يومها حصلت على مئتين وخمسين لـيرة مـن المديـر الإداري . وهكذا رحت استلف من صديقي حتى بلغت السلفة ألف و ستمئة لـيرة .ذات يوم طلبت منه أن يقرضني مئتين وخمسين ليرة . عندها انفجر غاضبا :

- ولك أنا .. على الأبراج .. وعلى حظي ونصيبي .

عندها هربت منه .

كذلك قمت ببعض المزحات الخفيفة مع بعض الأصدقاء .

تآمر جميع من أزعجتهم قائلين " لنلقنه درسا لن ينساه في حياته ".

كنت سأسافر بمهمة إلى أنقره ، وبحكم العادة سألتهم :

- هل لكم ما تطلبونه من أنقره ؟.

- دخيللك ، هناك علبة يجب إيصالها إلى مكتب الصحيفة في أنقـره .. خذها بطريقك ...

بعد قليل حملوا إلي علبة حزمت بحبل ، أمسكتها مـن الحبـل ، وجدتها ثقيلة لا تتزحزح

- ولك .. ما هذه ؟..

- إنها قطع تبديلية للتليفوكس .

- لم لا تنقلوها إلى شركة النقليات !..

- أجننت ؟.. ننقل آلة " ناظيك " مثل هذه عن طريق شركة النقليات ، إذا وضعت على الأرض بقسوة قليلا تتأثر أو إذا ارتطم بها أحدهـم تتأثر ..

- إذا لم لا تشحنوها عبر البريد !..

- معتوه أنت .. أنشحن آلة " ناظيك " مثل هذه بوساطة طرد بريدي ؟. قيمتها أربعمئة وخمسون ألف ليرة . لقد انفنينا حـتى اشـتريناها في

مرحلة يندر فيها القطع الأجنبي ، ماذا لو فقدت ؟. لن تجدها حتى لو دفعت مليون ليرة عوضا عن الأربعمئة وخمسين ألف ليرة .

ولكي لا أدع المفاجأة حتى نهاية الكتابة سأعلن عنها منذ البداية

" لقد وضعوا داخل العلبة أربعة من أحجار الرصيف ، أصلا لم يخطر ببالي هذا المقلب".

– قالوا احترس إنها آلة " ناظيك " حاول أن تضعها أمامك ، إياك و أن تستعين بحمال في نقلها قد ترتطم بشيء ما وتتعطل الآلة ، هنا لا يوجد من يصلحها ، احترس هاه !!.. إنها حساسة جدا ...

حملت الآلة الحساسة جدا بيدي.

لا تتركها في أنقره في أي مكان ، خذها إلى مكتب الصحيفة في أنقره وهناك افتحها بوجود الشباب سلمها للأصدقاء سليمة يدا بيد ، ومن الأفضل أن يتم ذلك بوساطة ضبط استلام .

حتى تعرفوا وتدركوا موقفي ومشكلتي بشكل جيد ، حاولوا أن تتناسوا مثلي أن في العلبة المذكورة ، أربعة أحجار رصيف .

أمان يا ربي !.. ما أعظم هذه المسؤولية ، آلة بأربعمئة وخمسين ألف ليرة حساسة للغاية سريعة العطب ، صيانتها صعبة ، إذا فقدت لا تجد مثلها بمليون ليرة ، ما أكبر هذه المصيبة !! ..

سيتفتت كبدي خوفا من انقطاع الحبل . لذلك وضعتها في حضني، قاتلها الله كم هي ثقيلة ، حتى الحمال المتمرس يجد صعوبة في حملها ، نزلت من طلعة بابيالي وأنا أقطر عرقا ودما . يا الله ، حتى الناس لا يعرفون المشي . فهذا الذي يدفع،وذاك يدفش وآخر يلكزك بكوعه . وأنا أحتضن العلبة وكأنها طفل صغير..

– على مهلك يا أخي .

– وما الداعي ..

- يا هو فيها آلة .. آلة حساسة .
- أنت و آلتك ....

ماذا أفعل لو شتمني أو صفعني على وجهي ، حتما لن أستطيع رفع يدي لأن الآلة التي أحتضنها آلة حساسة .. الأفضل هو متابعة المسير .. وصلت إلى السيركجي و أنا أحتضن تلك الآلة و أحميها وأحرص على سلامتها .. وهنا أيضا مصيبة . أربعون شخصا يتدافعون إلى الميكرو الواحد لذلك أصبحت كجناح نسر يحمي صغيره كي أحمي الآلة الحساسة . اندفعت نحو الميكرو وبلحظة وضعت قدمي على مدخل الميكرو ، قام أحدهم كي يمر أمامي بعرقلتي من قدمي . أوقعني أرضا ليركب هو. ما أخف حركة المرء وهو ينقل آلة حساسة . نسيت الهمي ونسيت حالي و كان جل اهتمامي الآلة الحساسة ، لذلك ، عندما سقطت لم أسقط على وجهي بل على ظهري و سقطت الآلة فوقي . شكرا لله أن الآلة لم تتأذ .. على كل إن تأذت أم لم تتأذى فغير واضح .. لو ارتطم بها شخص ما تتعطل ، لكن ماذا لو تعطلت ؟.

نهضت من الأرض بروية . هنا أيقنت أنه لا يمكن نقل هذه الآلة الحساسة بالباص أو بالميكرو لذلك رحت أتوسل لسائقي التاكسي :

- يا أخي أتوسل إليك ساعدني ليس كرمى لي بل كرمى لهذه الآلة الحساسة ، سأدفع لك ما تطلبه.

لتكن الأجرة إلى كره كوي خمس عشرة ليرة .. سأعطيه ، حتى لو طلب خمسين ليرة . أما في الطريق فقد راحت السيارة تهتز ، فترتعد فرائصي خوفا من انقطاع شريط أو ما شابه داخل الآلة .

- على مهلك يا " شفير" أفندي !..

راحت السيارة تتمايل ، وكأنهم عندما تم رصف طرق استنبول لم يفكروا بتاتا بالآلات الحساسة التي ستنقل ذات يوم .

أوصلت تلك الآلة إلى كرا كوي بعدما خارت قواي لمتابعة حملها لذلك استعنت بحمال ...

ولكن ألن ينقطع الحبل ويسقط الصندوق على الأرض قبل أن أقول له " خلي بالك" لا ترطمها . وهكذا رحنا نتشاجر أنا والحمال قلت بيني وبين نفسي ،لا فائدة، فلو اشتغلت طوال حياتي لما وفيت ثمنها ، ولو تعطلت لفصلوني من العمل ، آخ لو أوصل تلك الآلة إلى مكان العمل و أتخلص من بلائها ...

أنا الوحيد الذي يعرف المشقة التي واجهتني حتى استطعت إيصال الآلة إلى المركبة النهرية . وكان البحر يومها هائجا مائجا و كلما تلاطمت المركبة مع الأمواج انسحبت روحي من جوفي . الآلة في حضني لا أستطيع تركها في أي مكان حتى المسافرون لا حظوا سوء طالعي لذلك كنت أجيب على أسئلتهم قائلا :

- يا سيدي إنها آلة حساسة حتى لو دفعت خمسمئة ألف ليرة لما وجدت مثلها . كم من الصعوبات واجهتنا حتى تم شراؤها في فترة يندر فيها القطع الأجنبي ، لا يوجد من يصونها في حال انقطاع سلك فيها أو تعطلها .

وهكذا رحت أشرح لهم ككاتب بعضا مما تعلمته عن تلك الآلة . و تولد في أعماقي شعور بالخوف، ماذا لو سرقوها بعدما عرفوا ارتفاع ثمنها . وصلنا إلى حيدر باشا تدافع الحمالون قائلين :

- أنحملها عنك ؟..

أبجنون أنا لأعطيها لحمال ؟. رفعتها متمسكا بها بكلتا يدي وركبت القطار متأبطا إياها .

ارتحت وتنفست الصعداء عندما دخلت مقصورتي ، تلك التي فيها سرير للنوم . حتى هناك لم أطمئن، لذلك لم أستطع التحرك براحة حتى في

فترة الطعام فكنت أحملها إلى مقصورة المطعم ، نعم هناك غير ذلك ! ، عندما أدخل بيت الخلاء أحملها معي . لكن ، بالضد ، اللـه يعمي عيون القطار لم يهدأ أبدا من الاهتزاز ، ولك أما تسقط الآلة على قدمي ؟ ، فأنا وقعت باتجاه والآلة بالاتجاه الآخر ، نعم، ليس عبثا عندما قالوا يدخل العود في عين من يخاف على عينه ، و هكذا لم تعد تلك الآلة آلة .. رحت أشتم وأسب من حملي إياها . كدت أموت من الرعب،ولكي لا تسقط من فوق توسلت إلى أحدهم أن يسمح لي باستخدام السرير السفلي . سألني :

- لماذا ؟..

- بسبب هذه الآلة الحساسة التي بين يدي

وهكذا قمت بشرح الموضوع للجميع .

وافق إلا أنني لم أطمئن لنظراته . كان دائم التحديق بالآلة ، لذلك لم أستطع النوم طوال الليل .

وأخيرا وصلت أنقره ، وهكذا وبعد ألف مصيبة ومصيبة أوصلتها إلى مكتب الصحيفة ، وهناك جمعت كل الأصدقاء المتواجدين وشرحت لهم بالتفصيل الممل عن تلك الآلة الحساسة وقلت :

- والآن بحضوركم جميعا ستفتح العلبة ، و سأقوم بتسليمها لكم ، لأنني لن أتحمل أية مسؤولية بتاتا.

عندها قال لي رئيس المكتب وكل ما يقوله جيد :

- اتصلوا الليلة الماضية و أعلمونا أنهم أرسلوا هذه الآلة خطأ ، من المفترض إرسالها إلى أزمير ، لذا عليك نقلها ثانية إلى ازمير .

قلت لهم :

- لتبق هذه الآلة حتى موعد عودتي .

أجابوا :

- لا ، يجب أن تكون بعهدتك ، قد تتعطل .. لذا لن نستلمها .

لا تستطيع تركها في الفندق ، لا تستطيع وضعها في الأمانات .

لقد أجريت لقاءات مع وزيرين وثلاثة مدراء عامين سبق أن اتفقت معهم ، وتحدثت إلى مدير عام إحدى البنوك ، وكل ذلك وعلى حضني الآلة الحساسة

وأجبت كل من سألني :

- ما هذا ؟ .

بـ :

- إنها آلة حساسة جدا ، لو انقطع سلك فيها فلا يوجد من يصلحها.

نقلت تلك الآلة إلى استنبول ثانية لكن كيف ؟ . أنا الوحيد الذي يعرف ذلك. وعندما أحضرتها إلى الصحيفة جمعت جميع الزملاء فقالوا :

- هيا افتحوها ، قد تكون معطلة . فتحوا العلبة و إذ بداخلها أربعة أحجار لرصف الطرقات . جميعهم تهاوى على الأرض من شدة الضحك . بينما كنت في وضعية عدم التوازن . حملت إحدى تلك الحجرات واتجهت نحوهم . تراكضوا أمامي ورميت بها خلفهم . لينكسر زجاج الباب .

لتأخذوا درسا من مصيبتي .

وعندما يطلب أحدهم قائلا:

خذ هذه العلبة . -

إياكم أن توافقوا .

بسبب خمسة قروش

صحيح أن روحي بك هشم الجابي ومزق لحمه من أجل ليرة واحدة. جميعهم يومها لاموه على فعلته قائلين " أيعقل سفح الدماء من أجل ليرة ؟، واه أيها الذئب !! " . حتىّ أن البعض بصق على صورته عندما نشرت في الصحف قائلا " ماذا لو مات الجابي " ؟ !! .

لكن ، لا أحد يعرف حقيقة الأمور ، هل كان الجابي مذنبا أم لا ؟.

و لا يمكن أيضا اعتبار سبب هذه الجناية هو الليرة .لا شك أن هذه الليرة هي السبب الخارجي لتلك الجناية .فلو قمنا بإلقاء الضوء على مجريات الأمور التي مر بها روحي بك قد لستشفينا السبب الرئيسي لتلك الجريمة .

قبض روحي بك معاشه الشهري ذلك اليوم ، كان يوم سبت . ملـ بين يديه لا يكفي لسداد نصف ديونه . لذلك كان منزعجا كثيرا . عندما دخل المطبخ كان أحد رؤوس موقد الغاز مشتعلا و الآخر مطفأ . قامت زوجته بإشعال عود ثقاب كي تشعل رأس الموقد ، ومع اشتعال عود الثقاب وقبل أن تشعل رأس الغاز

فرقع روحي بك غضبا على زوجته :

- كم أنت امرأة مسرفة .. بسببك لا تنصلح الأمور . تشعلين أعواد

الثقاب مثلما يطلق المليارديريون رصاصاتهم للتسلية . أيعقل إشعال عود ثقاب طالما أن أحد الرؤوس مشتعل ؟. لم لا تشعلين ورقة من ذلك الرأس لإشعال هذا الرأس .

دخل الغرفة بعدما عصب وصرخ و زمجر لدرجة أن أعصابه توترت تماما . مع دخوله كانت ابنته تمزق ورقة من دفترها :

لم مزقت ورقة من دفترك ؟.

- وقعت عليها نقطة حبر .

- مهملون ..مسرفون .. لقد أجهزتم علي .

وانهال عليها ضربا .

جن جنونه تماما عندما رأى ابنه يقطع الخيط التي كانت تربط الكرتونة التي حملها من عند البقال

- انتم لا تعرفون قيمة شيء هيا كبوا كل ما يقع بين أيديكم لنر ما هي آخرتنا في ذلك ؟. الإنسان العاقل يفك تلك الخيوط ويلفها ليضعها جانبا . لأنك عندما تحتاج إليها ستركض إلى البقال لتشتري مثلها بمالك ، أنتم تتصرفون هكذا بلا تعقل ، طبعا لن يكفي المعاش .

خرج من بيته منفعلا وغاضبا دون أن يتناول طعام غدائه .

التقى بأحد أصدقائه ، صديقه أيضا لم يتناول طعام غدائه . دخلا أحد المطاعم . هناك تناولا طعاما بست عشرة ليرة . كلاهما مدا يديهما إلى محفظة نقودهما . قال له روحي بك :

- اتركه مشان الله . أنا سأدفع .

رد عليه صديقه :

- لا يجوز .

- والله بزعل .

- لا !. لا يمكن ، لن أدعك تدفع . يا هوه مرة كل أربعين عاما . أقول لا يجوز .

على كل حال كانت الأمور ستصل للزعل . وبما أن روحي بك كان مصرا على ذلك أكثر لأنه هو من طلب على الطعام فيجب عليه لذلك تسديد الحساب ، ناول " الكرسون " ورقتين ذات العشرة ليرات ، أعاد "الكرسون " الباقي على صحن ، قطعة ذات الليرتين والنصف ، مئة وخمسين قرشا فراطا .

لو ترك الفرط بخشيشا " للكرسون " لكان قليلا ، ولو ترك الليرتين والنصف كان كثيرا ، لذلك أخذ من الصحن قطعتين من فئة الخمسة والعشرين قرشا وترك الباقي " للكرسون " الذي شكره وخرجا من المطعم .

روحي بك كان منزعجا كثيرا ، لذلك كان يجول في خاطره مايلي:

- ولك حمار !، لم لم تتغد في بيتك ؟..حسنا ، طالما أنك لم تتغد هناك، لم لم تأخذ كعكة من هنا و سددت بها جوعك . وطالما لم تقم بذلك وبما أن الرجل راغب أن يدعوك إلى الطعام لم لم تدعه يسدد الحساب .. ولك يا روحي الحمار أنت لن تصبح آدميا ".

كان منزعجا كثيرا عندما افترق عن صاحبه . بعد لحظات التقى بصديق آخر :

- إلى أين يا روحي بك ؟.
- والله خرجت هكذا .. إلى أية جهة كانت ..
- هيا لنذهب إلى " حانة شرب الشاي " لنرتشف كأسا من الشاي .
- وما المانع ؟فلنذهب ...

استقلا سيارة أجرة :

- هيا يا بني إلى الحانة .

توقفت السيارة أمام إحدى حانات الشاي ، فنــزلا . كلاهما مـدا يديهما إلى محفظة نقودهما كل منهما يحاول دفع أجرة السيارة .

- يوه ما بصير والله ما بصير .

- لا يمكن ،اتركه ، أنا سأدفع ..

- والله أزعل ..

- والله أكون بلا شرف إذا كلمتك فيما لو دفعت .

إصرار روحي بك كان أكثر لذلك هو دفع الأجرة سأل السائق :

- كم الأجرة ؟

أجابه السائق :

- ما تجده مناسبا ..

كم يدفع له ؟.. من الأفضل أن يجعل السائق يأخذ حاجته لذلك مد له ورقة ذات الخمسين ليرة . أعاد له السائق سبع عشرة ليرة ونصـــف ، ناوله روحي بك خمس ليرات بخشيش .

دخلا الحانة وطلبا سماور شاي . في هذه اللحظة راح روحي بـــك يكلم نفسه :

ولك روحي .. ولك يا روحي الحمار..أنت لن تصبح رجلا . ماذا تفعل أنت في هذه الحانة ؟.. لم لا تجلس في بيتك ... ولك طالما أنـك أتيت إلى الحانة لم لم تدعه يدفع أجرة السيارة ! وطالما أنك دفعت للسائق لم " تتخوزق " أكثر ؟.. لقد أخذ منك ذاك العاهر ســبعا وثلاثين ليرة ونصف و " خوزقك " .. ولك يا حمار طالمـا " تخوزقت " لم تعطه خمس ليرات كبخشيش ؟.. انزعــج كثيرا. حتى بات له طعم الشاي الذي شربه مثل الســم .

وفي المساء عندما قاما لينصرفا مد كل واحد منهم يـــده إلى محفظته:

- اتركه علي
- يوه . أنت اتركه
- اتركه كرمى لله ..
- إذا كنت تحب دينك اتركه
- أقبل اتركه
- دعني أكن عبدك ومعبودك واتركه علي

وبما أن إصرار روحي أفندي كان أشد لذلك وقع عليـــه تســديد الحساب

- كم الحساب يا بني ؟.
- سبع ليرات ونصف

أعطاه ذات العشر ليرات

- دع الباقي لك ..

عندما خرجا راحت تجوب في أعماق روحي أفندي الأفكار التالية:

" ولك يا روحي الحمار ، ولك يا حيوان .. ولك أيدفع المرء ســبع ليرات ونصف من أجل الشاي؟.._لم لا تشرب هذا الزقـــوم في بيتـــك هاه؟.. طالما أنك شربت وانتهى فلم لم تدعه يدفع الحساب .. ولك بمــا أنك دفعت الحساب فلم لم تأخذ الباقي هاه ؟..ولك يا روحي يا حمار .. الكلاب تصبح بشرا أما أنت فلا ."

استقلا سيارة أجرة . ثانية أخذا يتجادلان مـــن سيســـدد أجـــرة السيارة، وثانية استطاع روحي بك كسب الموقف وسدد أجرة السيارة . بعدها راح يكلم نفسه " ولك روحي الحمار "

وهكذا ، افترق عن صديقه منـــزعجا .
بينما كان سائرا باتجاه "غالتا سراي " التقى بأحد الأصدقاء .
لم يكن صديقا . كان معرفة عابرة ، فهو لا يتذكر اسمه حـــتى ..
التقيا عدة مرات وحسب .
- أوه مرحبا ..
إلى أين ؟.
هكذا بلا اتجاه .
تفضل إلى إحدى الحانات لنشرب بيرة دبل .
دخلا حانة تتوسط مجموعة حانـــات أسمـــها " تشيتشكتشـــي "
احترعا كوبين من البيرة ثم أربعة ، ستة أكواب
يا بني أضف إليهم الفودكا .. و حضر لنا ســـلطة نخاعـــات ..
وبعض الأشياء الساخنة .. أيوجد لديكم قريدس .. من فضلك بعـــض
المازوات الأخرى أيضا .
الحساب مئة وستون ليرة
مشان الله دعه .. أنا سأدفع
والله لا يمكن
يوه ... أنت ضيفي
يا روحي أيجوز ذلك ، أنا من دعا .
يا هوه مرة كل أربعين عاما .
ثانية روحي بلك سدد الحساب . مد يده للكرسون و أعطاه ورقـــة
ذات المئة وورقتين من فئة الخمسين.
- الباقي لك ...
خرجا والوقت قد قارب منتصف الليل . وفي أعماق روحي بـــك
تتردد " هي يا حمار .. هي يا حمار!!" ، ولك أنت ، ألن تصير آدميا ؟ ..

لم لا تجلس و تتسمم في بيتك، طالما أنك قمت بحماقة فلم لم تدع الرجل يدفع الحساب ؟ . ولك يا روحي الحمار ، وفوق ذلك تدفع كل هـــذا البخشيش للكرسون !"

هكذا ، وبكل ما يجوب في أعماقه من تناقضات افترق عن صديقه . ركب الترمواي كي يتجه إلى بيته من

" تبه باشي " انفعالاته الداخلية و التي تتجلى بعبارة "ولـــك يـــا روحي الحمار .. ولك يا حمار يا روحي ".لم تفارقـــه حـــتى داخوله الترمواي.

لن ينسى مرارة مصيبته طوال حياته مهما كان متماسكا .

تذكرة ... علي بتذكرة .

ناول روحي بك بائع التذاكر ليرة معدنية واحدة ، أو قد تكـــون قطعة معدنية ذات خمسة وعشرين قرشا ،لم يكن يعرف ، لأنه كـــان في حالة يرثى لها . عندما اقترب من الموقف الذي سيترل فيه اقترب مـــن الجابي وقال له :

- لم تعد لي الباقي .
- أي باقي ؟ .. و أية نقود ؟ ..
- يا هوه أما أعطيتك ليرتين ونصف ؟ ..
- يوه ه ..أعطيتني ليرة واحدة .
- انظر إلي .. ولك ، ألم تجد غيري كي تخو زقه ؟ ..
- أرجوك يا سيدي .. أنت لم تعطني ليرتين ونصف ..
- "شوفوا هذا شوفوا "
- يا سيدي والله ، ...

لم يستطع الجابي أن يتحدث أكثر . فقد مد روحي يده إلى جيبـــه بهدوء واستل سكينا صغيرة ، وكأنه سيبري قلـــم رصـــاص . حـــتى أن

المتواجدين لم يعوا ما سيقوم به ، إذ سرعان ما غرز نصلتـــها في فخـــذ الجابي .

هاهي بطولة روحي بك الذي تحدثت الصحف عنـــه وتصـــدرت صوره فيها والذي قام بجناية بسبب ليرة واحدة .

حامـــي البار

كنا أربعة أشخاص ، بدأنا العمل سوية في الصحيفـــــة . الأول في الخامسة والعشرين من العمر لم يستطع تجاوز الصف العاشر بأي حال من الأحوال لذلك قال له أبوه :

لا أمل فيك بأن تصبح رجلا، لذا هيا صر صحفيا على أقل تقدير.

أما الثاني فكان يتيم الأب . أمه أرملة طاعنة في السن ، كان يستولي على تعويضات أمه ربع السنوية بالقوة، ويصرفها خلال ثلاثة أيام. لم تعد تحتمل أمه العجوز تصرفاته ، لذلك دعت عليه قائلة :

لن أقول شيئا ، سوى أن أطلب من اللـــه أن تمضي حياتك سـائلا الناس ، مستجديا .

هذه الكلمات ، كانت الأخيرة . لأن المسكينة لاقت وجه ربهـــا . عندها رجع الولد إلى رشده و قال " إلى الآن لم أنفذ ما قالتــــه أمـــي ، لذلك علي تنفيذ وصيتها كي تنتعش روحها وتسر " و هكـــذا أصبـــح صحفيا يسأل الناس مستجديا .

عشرون عاما مضى على هذا الحديث الذي حدثتكم إياه ، حقيقـة أن صحفيي تلك الأيام كانوا يحققون هكذا دعوات بكل ما تحمله هـــذه الكلمة من معنى .

أما الثالث . فقد رسب في المرحلة الإعدادية لســـنتين متتـــاليتين ،

بسبب ضعفه في مادة اللغة،و لكي ينتقم من مدرس المادة عمل في الصحافة كي يصبح كاتبا عظيما .

أما أنا " فقد كنت من أولئك الذين يقولون إنهم يمتهنون كل المهن إلا أنهم لا يجيدون أية مهنة لذلك و جدت أن مهنة الصحافة تناسبني .

نحن الأربعة كنا مراسلين تحت التدريب ، لذلك لا راتب لنا من الجريدة . و كنا نتنافس على من سيكون الأفضل كي ينجح و يقع عليه الاختيار في التعيين ككادر رئيس في الجريدة . أجل طبيعة التنافس كانت قاسية .

ذات يوم علمنا أن واحدا منا تم اختياره براتب ستين ليرة شهريا . هذا المبلغ لم يكن يدفعه صاحب الجريدة، بل والد ذاك الولد ، يدفعه لصاحب الجريدة دون معرفة الولد كي يقنعوه أنه منتج وصالح ، هذه الخطة كانت من تفكير الوالد . إلا أن خطته هذه كانت نافعة لصاحب الجريدة إذ أنها كانت كافية للتخلي عنا .

جلسنا ثلاثتنا في المقهى كي نتشاور ، قال الذي فشل في دراسته بسبب مادة اللغة :

- ستسمعون عني ذات يوم بأنني أصبحت كاتبا مشهورا .

بينما قال الأخر :

- وأنا أيضا سأصبح روائيا مشهورا .

سألوني :

- و أنت ماذا ستصبح ؟ .

أجبتهم قائلا :

- أنا ! .. لا أعرف .. رغبتي أن أصبح شيئا مهما .

أكثرنا معرفة قال :

- أن تصبح فنانا مشهورا يجب أن ترى الحياة و تتعرف عليها و

تعرفها، نحن لا نعرف الإنسان و لا الحياة .

قال " إن أحد الروائيين الأمريكان عمل في التنقيب عن الذهب و تهريب الخمور وامتهن مهنا متعددة كأجير في مطعم الباخرة .. إلى ما هنالك " .

قلت :

- إذا لننقب على الذهب .

كذلك قال " إن أحد الشعراء الفرنسيين المشهورين عمل قسيسا ".

قلت :

- لنعمل قساوسة أيضا .

" و قام أحد الفنانين المشهورين برعاية الخنازير " .

قلت:

- حسن ، لنقوم برعي الخنازير .

"لا يوجد لدينا خنازير و لا يمكن التنقيب على الذهب و لا يمكن أن تكون قسيسا ".

قلت :

- آه .. الآن توضحت الأمور لماذا لا يوجد لدينا فنانون كبار ، هذا لأنه لا يوجد لدينا الوسط المناسب كي ينمو الفنان إلى هذه الدرجة . لا قساوسة و لا ذهب و لا خنازير .. آه في أية منطقة حدباء ولدنا، حسنا

- كيف سنصبح فنانين مشهورين؟!!.

و هكذا قررنا أن نقوم بأعمال متعددة كي نتعرف أكثر على الحياة و الإنسان.

أحد الأصدقاء بدأ عمله في التهريب ، أو بالأحرى لم يستطع ، لأنه قبض عليه و أدخل السجن قبل أن يبدأ التهريب. أما الصديق الآخر

فتنكر ملتحيا بلحية اصطناعية كي يسطو على بائع المجوهرات . عند دخوله وجد المحل فارغا لأنه سرق قبل ساعة و ألقي القبض عليه .

أقدم على الانتحار وهو مفعم بالأمل لمعرفة الحياة ، عندما قبض عليه ، قبل أن يسرق ، وذلك كي يزيل اللطخة التي شوهت سمعة وشرف عائلته.

كنت الوحيد من بين تلك المجموعة الذي وجد عملا مميزا ، أصبحت حامي البار ، أو حارس البار.لأحدثكم كيف أصبحت حاميا للبار .

جلست ذات يوم في مكان لشرب الشاي في " السبي أوغلو " مفكرا كيف سأسد الجوع في بطني ، أربع وعشرون ساعة يومها لم تدخل لقمة إلى فمي ، كدت يومها أموت جوعا . سألني من كان جالسا بجانبي:

- ما بك أيها الشاب وما به بطنك يقرقر باستمرار ؟ .

شرحت له قصتي من الألف إلى الياء .

- سأكلفك بعمل ، هل تستطيع القيام به ؟ .

- أقوم به ... ما هذا العمل ؟.

- ستكون حاميا ، حامي البار .

- و أي عمل هذا ؟ .

- ستجلس في إحدى زوايا البار من التاسعة مساء وحتى الثالثة صباحا ، مهمتك تأديب الزبائن . زبون يعترض على الحساب أو آخر يثير ضجة أو يزرع الفوضى و الضوضاء تمسكه من ياقته و تلقيه خارجا .

بداية لا بد من تقديم لمحة عن شخصيتي كي تستطيعوا الضحك أكثر و الولوج في العالم الكاريكاتوري بأريحية أكثر .

أصبت بأمراض عديدة تركت علائمها علي كذات الرئة و الخنلق

و الدفتيريا ، الحصبة الجدري ، الربو ، و الملاريا . إضافة إلى أمراض عدة أخرى عدا عن أربعة وثلاثين مرضا سبق و أن شفيت منها . لا أذكر مرة واحدة في حياتي تشاجرت مع أحدهم إلا و ضربت . في اليوم الـــذي أكون صحيحا معافى أكون مريضا بذات الرئة أو بالرشح أو بالنــزلة ، أو أشعر بألم في ضرسي أو برأسي . طولي متر و ستة و أربعين سنتيمترا، وزني في حالة الشبع حوالي خمسة و أربعين كيلو غراما .

قلت لذلك الذي عرض علي العمل :

- لو تطلبون مني الطيران لقاء إشباع بطني لما أحجمت ، لكن إذا كنتــم تريدون الحقيقة أنا لا أستطيع ضرب أحد . ألطخ شرف باركم فيمـــا لو ضربني زبون ما ، بدلا من أن أضربه .

أجابني :

- هذا العمل يليق بك تماما و كأنه مخصص لك بالذات .
- حسن ، لكن سأضرب ، وماذا سأفعل كي أقوم بذلك ؟ .

أمور في غاية السهولة .. أفعل ما سأقوله لك ، و لا علاقة لـــك بالباقي ، لا حاجة للقوة للقيام بعمل حامي البار سأقول لك " اضـــرب هذا " ستذهب إلى ذاك الشخص وتضربه .

فكرت قليلا بالأمر وقلت لنفســـي رأسمالهـــا " لطمـــة " ! و إذا تضايقت أصرخ و أهرب ، هل من السهل أن تتعرف على الحياة وتعرف الإنسان و تصبح فنانا كبيرا ؟ .

وافقت على عرضه و أصبحت حاميا في بار " تشين ، تشين " ذهبنا في المساء سوية إلى ذلك البار ، اختار لي مكانا بين البوفيـــه و فرقـــة " الأوركسترا " . رسمت على وجهي إمارات الجدية و قلت له :

- إنني أموت جوعا ، أعطني طبقا من الطعام و احسم ثمنه من أجرتي .

أجاب :

- دون أن تقوم بمهمتك لن أعطيك الفتات حتى .

لا استطيع ضرب أحد و أنا شبعان فكيف و أنا جائع ، و اللـــــه سيأخذني تحت قدميه ويضربني حتى الموت.

سألت صاحب البار :

- و كم ستدفع لي ، شهريا أم أسبوعيا ؟ .

- ليس واضحا ما ستأخذ ، لأن أجرتك ستكون على شكل مكافـآت ، كلما ضربت زبائن أكثر كلما ارتفعت أجرتك و على كل سـأعطيك على الزبون ليرتين ونصف .

لو كانت الأجرة على أساس اللكمات التي سأتلقاها سأصبح غنيـــا بالتأكيد .

بدأت حفلة الجاز . صالة البار أخذت تمتلئ رويـــــدا ، رويـــدا و وأصوات قهقهة الفتيات باتت ظاهرة ، يقمن بحركات إثارة و يرقصـن ، أما أنا فكدت أفقد وعيي من شدة الجوع حوالي الساعة الحادية عشـــــر سمعت ضجة من إحدى الموائد ، و بسبب معرفتي أن مصيبة ستقع فـــوق رأسي شعرت أن قلبي قد أصبح عند ركبتي.

كان الزبون يصرخ بأعلى صوته :

ولك هل نحن في الطرق الوعرة والجبال كي تسرقونا أمام أعيننا ؟ . ألا تخجلون وأنتم تقدمون مشروبا حامضا على أنه شمبانيا بخمسين ليرة؟. أيها المنحطون ، حقيرون .

غمزني صاحب البار بعينه .

قلت له :

- و ماذا سيحصل الآن .

- ستضربه .

الشخص الذي سأضربه كان أكبر مني بثلاث مرات . لو رغبـــــت

بلكمه قد تصل قبضتي إلى أسفل سرته أو لا تصل ، انتصبت و أنا أقول بيني و بين نفسي " يا بسم اللــه " ثم تابعت دعائي مع نفسي قائلا :

إيه يا ربي أعن عبدك الضعيف الجبان و أعطه قوة يوسف البهلوان و أنت على كل شيء قدير.

اتجهت إليه متثاقلا وبيدي سيجارة مشتعلة. أثناء ذلك رحت أسمع أصوات همسات و همهمات :

- الحامي قادم ، الحامي قادم .

على أية حال أدخلت في حسابي أنني سأضرب لذلك رحت أتقدم واثق الخطوات ، أمشي بشكل جانبي مثل الفقمة وصلت إليه وجها لوجه، لو وددت صفعه لما وصلت يدي إلى وجهه فصرخت به :

اجلس بمكانك و لك ! .

خرجت الكلمات من فمي وكأنني أبصق .

تمالك الرجل على كرسيه ، أطفأت سيجارتي بين حاجبيه ، من شدة الألم أخذ يصرخ :

- آه لقد انتهيت .

- ولك ماذا تبربر وتقول ، أسحب روحك هاه .

- لا أقول شيئا يا أخي .

- تكلم إذا كنت تواقا لموتك ، وصفعته على جانبي وجهه بقفا يدي ، وعدت ثانية إلى مكاني بشكل استعراضي .

عزفت الموسيقى ثانية وبدأ الرقص ، بعد لحظات اقترب مني صاحب البار قائلا :

- أرأيت ، شغلة سهلة أليس كذلك ؟ .

- دخيلك ، أسرع و أعطني ليرتين ونصف .

- الحساب فيما بعد ، لكن إذا رغبت اذهب واشرب بليرتين ونصف ..

رحت إلى البائع و طلبت منه قدحين بهذا المبلغ و شربتهما . شعرت بغثيان بسبب الجوع . أثناء ذلك وعندما سمعت صوت جلبة من إحدى الطاولات اتجهت إلى هناك . كان هناك زبونان ثرثاران صفعت الأول والثاني وعدت إلى مكاني . ليلتها ضربت أربعة زبائن . حوالي الساعة الرابعة صباحا توزع من في البار و أنا قبضت حسابي سبع ليران و نصف.

في الليلة التالية قدمت إلى العمل ثانية ، ليلتها ضربت ستة زبائن . و هكذا رحت أكسب المال من ضرب الزبائن ، بعضهم لم يكن يسكت من صفعتين وعدة رفسات .

ولكي أكسب مالا أكثر رحت أراقب الطاولات كي أضرب كل من يتصرف أو يسيء . وفي بعض الليالي لم يكن أحد من الزبائن يبول تحته ، أقصد لا أحد يخطأ لذلك كنت أبقى بلا نقود . في هذه الليالي كنت أصرخ بمن يرفع صوته قليلا :

- ولك ، أتظن نفسك في " زريبة " دينغو .

أتجه إليه وأضربه هكذا بدون سبب . لكن المعلم لم يكن يسدد على هذه الضربات بدون سبب سوى ليرة واحدة فقط ، حتى لو لن يدفع بتاتا ، وبسبب الاعتياد وتحريك العضلات كنت سأضرب و ألكم . . لأنني تعلمت هذه المهنة حتى أدمنت عليها ، و لم أعد أستطع تحمل الوقوف مكتوف الأيدي ، حتى أن أعصابي باتت تتوتر في حال لم أضرب أحدا .

حقيقة كنت أستغرب من قوتي ، كيف أستطيع أن أضرب وأصفع. لكن فيما بعد بت أثق بقوتي و عزمي..

ذات ليلة أكثر أحد الزبائن الثلاثة الجالسين إلى طاولة أكثر من ضوضائه و إزعاجه بسبب سكره ، بينما راح صديقاه يهدئانه ، لكن عبثا ، لأنه أصبح كالكلب المسعور المنفلت من عقاله ، أي سكران هذا ،

إنه لا يشبه بني البشر بتاتا إنه أكبر و أضخم بكثير . إنه لا يشبه أي واحد ممن ضربتهم حتى ذاك اليوم . حقيقة تسلل شعور الخوف إلى أعماقي . على الأغلب ستتغير طريقتي في التعامل .

اتجهت نحوه ، رفسته على بطنه . راح الرجل يصرخ و يصرخ ، رفسته ثانية على بطنه ، راح يصرخ أكثر، وهكذا كلما ضربته كلما راح يصرخ أكثر . أمسكت كرسيا و أحكمته على رأسه ، راح يصرخ أكثر ، مع ذلك وجدت أن المشكلة لن تحل ، أمسكت بساق الكرسي المكسور ثم رحت أسوقهم ثلاثتهم كالقطيع تحت الضرب :

- أمش ولك يا كلاب .

ساروا أمامي كالخرفان، حشرت الثلاثة في القبو ثم رحت أضرب ذاك الذي كان يصرخ ، ضربته ضربا مبرحا لدرجة أنه انهار على الأرض متمددا ، ثم التفت إلى الآخرين :

- دخيلك يا أخي ، نحن لم نفعل شيئا ، أساسا أنا لا أتردد على مثل هذه الأماكن ، هذا الشخص كان يلح علي يوميا لارتياد هذا المكان للتسلية ، وافقته هذه الليلة ، لم يترك مكانا لم يحدث فيه الشجار و البلبلة و في جميعها استطعنا إيقافه إلا هنا .

تخلصت من صديقيه عندما أخذ يشتم ويلعن حال بدأ يستعيد وعيه، التفت إليه بالعصا، كلما ضربته كلما تهاوى على الأرض أكثر . ثانية يبدأ الصراخ . وهكذا حتى الصباح أشبعته ضربا .

عند الصباح استفاق الرجل وعاد إلى رشده . أمسكت بالعصا ثانية. سحبها من يدي ثم راح يضربني بها ، وللك آخ ، أصابع يده مثل المهراس عندما يمسك جزءا يخلعه من مكانه . أخذ يسحقني بين إصبعيه كالبق ، يمسكني من ياقتي ويرفعني بعد ذلك أخذ يخضني ثم يرميني بينما كنت أصرخ بملء فمي . بعد ذلك فقدت وعيي لا أعرف ماذا

جرى ، ثلاثة أيام و أنا لا أعرف شيئا . بعد أسبوع استطعت فتح عيني، مضى شهر حتى استعدت وعيي ، بعد شهرين استطعت الوقوف على قدمي .

أتيت إلى البار و هناك راح صاحب البار يعنفني :

- و لك بهدلت مهنة حماة البار وشرشحتها ، هيا انقلع أنت مفصول من عملك !.

- دخيلك يا معلمي ، لم أع ماذا جرى . ثمانية أشهر أعيش و أنا أعمل لديك بإخلاص ضربت الناس بشرف ، لكن لم أصادف خلالها مثل هذا .

أجابني مزمجرا :

- و لك يا أحمق ، هل أنت من يضرب أولئك ؟ إنهم يرغبون بالتسلية وفي النهاية ينشدون اكتمال السعادة بلكمة ، ألا تدري أن تسليتهم و سرورهم لا تكتمل بدونها؟.لو لم تضربه أنت لقام بضرب رأسه بالحيطان و أنفه بأعمدة الكهرباء و فمه على حجارة الأرصفة متذرعا بسكره . حامي البار الذي تنشده يجب أن يجد الوقت المناسب كي يضرب و يسلي . و لك يا مجنون أيعقل أن تضرب الرجل صباحا بعدما عاد إلى رشده! كم هو رائع أنه لم يجهز عليك نهائيا .

طردني المعلم من العمل . وجدت عملا في مكان آخر بسبب معرفتي لأسرار المهنة .

و الآن فأنا أقوم بضرب الزبائن من أجل اكتمال تسليتهم و إتمام سرورهم لكن عندما أشعر أنهم أخذوا يستعيدون رشدهم أهرب مغادرا المكان .

في الليلة الماضية أتى صاحب البار الذي عملت لديه أول مرة . ليست مشكلة لو أتى وجلس باحترام ، لكنه أتي مثيرا الفوضى

والضوضاء. جررته إلى القبو وهناك كدت أحطم عظامه مـــــن كـــثرة الضرب عندما شعرت أنه بدأ يستعيد وعيه ، هربت .

أنني أكسب المال الوفير و إنشاء الله سآخذ إجازة ذات ليلة كــــي أتسلى بشكل جيد .

من صاحب طرزان ؟.

كنا نسكن في حي" مالتبه " وهو حي من أحياء انقره ، لسنا من أنقرة لكننا من سكانها القدامى . فبيت خالتي هو البيت الثالث الذي بني في هذا الحي ، سكناه بعد وفاتها رحمها الله .

في حينا كلب اسمه طرزان . لا أحد يعرف كيف ومن أين أتى إلى حينا . قد يكون أنه قدم إلى هنا عندما كان جروا . لا أحد يعرف عمره،حتى أنك لو سألت أحدا لأجابك :

عندما قدمت إلى الحي كان طرزان كبيرا بهذا الشكل .

حتى بشكل تقريبي لا يمكن التكهن عن عمره . نحن هنا منذ ثمانية عشر عاما . أقمنا هنا بعد وفاة خالتي وطرزان بهذا الشكل . جارنا ممدوح بك في هذا الحي منذ واحد وعشرين عاما . عندما قدم إلى الحي طرزان كان موجودا كذلك . أما حسب بقالنا إلياس فإن عمر طرزان تجاوز الثلاثين عاما لأنه عندما قدم إلى هذا الحي قبل ثلاثين عاما كان طرزان كلبا كبيرا .

أما حسب رأي محمد أفندي حارس السكك الحديدية فعمر طرزان قد تجاوز الأربعين منذ زمن طويل، لأنهم عندما انتقلوا إلى هذا الحي ، كان عمر طرزان سنتين ، ثلاث سنوات على أقل تقدير .

أما الحاجة درية وكما تقول فهي شابة أكثر من طرزان وهو

أكبر منها ، فعلى حساها فإن طرزان قد تجاوز الخمسين منذ زمن طويل.

مسألة أخرى تخص طرزان ، لا أحد يعرف من أطلق عليه هذا الاسم .

كلب أشقر ممزوج ممزوج بالرمادي على المغبر قصير الوبر ، متوسط الجسم . فيه كل سمات الكلاب الشاردة التي نعرفها ، لم يخلق أعرجا . إلا أنك لا تراه إلا وهو يعرج في مشيته لكثرة ما يضربه صبية الحي و يرشقونه بالحجارة لذا فنادرا ما تكون أرجله سليمة ، فطرزان وسيلة تسليتهم الأولى ، يركبون عليه دون أن ينبح وهو يحاول جاهدا حملهم على ظهره المحني ، و لا يكتفي الأطفال بذلك، بل يثقلون عليه بركوب اثنين دفعة واحدة لدرجة أن ظهره يؤلمه ، من ثم ينسطح على الأرض و لا يستطيع الوقوف بعدها لمدة خمسة أو ستة أيام ، لذلك كثيرا ما تراه يتسكع في الشوارع المغبرة زاحفا .

عدا عن ذلك ، يقوم أولاد الحارة الصغار ، بشده من ذنبه ويخزونه بالمسامير ، بينما يقف طرزان أمامهم ليس ككلب بل كحمل وديع ، وعندما يتألم يلتفت برأسه نحو من آلمه ليرمقه بنظرات حزينة بعينيه الصفراوين الشاحبتين ، وعندما لا يتوقف ينبح بصوت متألم لا يشبه نباح الكلاب .

إن أفضل أنواع اللعب لدى جميع أطفال الحي هو عندما يقومون جميعا برشق طرزان بالحجارة . في بعض الأحيان يقومون بربطه على جدار ، ليجعلون منه هدفا لحجارتهم ، كي يتمرنوا على التسديد .

ذات مساء بينما كنت عائدا إلى منزلي شاهدت أربعة عشر ولدا يقفون صفا واحدا بينما كبيرهم يطلق إيعازا :

– نارررر

فيقوم الجميع بقذفه بالحجارة دفعة واحدة .

قلت لهم :

- ولك ماذا تفعلون ؟.

- إننا نلعب لعبة إطلاق النار يا عم .

أليسوا أطفالا ، لا شك أنهم سيلعبون هذه اللعبة . نحن أيضا في طفولتنا كنا نلعب هكذا مع طرزان.

رغم كل ما يعانيه طرزان من أفعالهم إلا أنه لا يغادر حينا . (لأنه متعلق بحارتنا و كأنه من حظوتها و عهدتها) .

حتى أنه لم يلق الاحترام من الكبار ، فعندما يشاهدونه فالحجر يكون بانتظاره على أقل تقدير . ولعل هذه النظرة لطرزان واحدة من الشروط كي تكون واحدا من هذا الحي .

أما لو تجرأ وحاول التسكع بين الأقدام لكانت الرفسة بانتظاره و صرخة من صاحبها " أيها الحيوان القذر ، المعلول ... " لم أشاهده سليما معافى ولو مرة واحدة .

عندما كنا صغارا قمنا أنا وبعض الأصدقاء بتقطيع أذنيه ، أما الجيل الذي تلانا فقد قطعوا ذنبه .

لكن كيف يشبع طرزان بطنه ؟ ، لا أحد من حينا يعطيه كسرة خبز و لا هو يغادر حينا كذلك ، ماذا يأكل و ماذا يشرب ، أظن أنه لا أحد خطر بباله هذا الأمر .

في بعض الأحيان تقوم البلدية بقتل الكلاب الشاردة . لكن هل شاهدتم مرة كيف يتم ذلك ؟ .

تأتي سيارة كبيرة و منها ينزل المتخصصون في مكافحة الكلاب الشاردة ، كل واحد منهم بيده آلة خاصة طولها يزيد عن المترين ، تشبه المقص أو الملقط ، حادة من طرفيها . يمسكون بالكلاب بهذه الآلة بعد غرز طرفيها الحادين في بطن الكلب ، بعد ذلك يلقون بالكلاب النازفة في

السيارة الكبيرة المغلقة .

ذات مرة أمسكوا طرزان . التم جميع أهل الحي للفرجة ، عندما دخلت تلك الآلة في بطنه راح يصدر صوتا يشبه البكاء ، بعد ذلك لوى عنقه ليرمقنا بنظراته . رفع مكافح الكلاب آلته المغروزة في بطن طرزان عاليا ليلقي به في السيارة ، وهنا حصل ما لايتوقع بتاتا ، إذ هرب طرزان بعدما تمزق بطنه بتلك الآلة ثم راح يركض مخلفا آثار دمه النازف .

في اليوم التالي شاهدنا طرزان في الحي ثانية . تجرجر فترة بسبب جرحه ثم شفي وعاد طرزان الذي نعرفه .

اشتكى البعض من هذه الطريقة لمكافحة الكلاب الشاردة التي تتنافى و الإنسانية ، ولهذا السبب راحوا يستخدمون البنادق في المكافحة .

ذات مرة قدم إلى حينا أيضا مجموعة من مكافحي الكلاب الشاردة، هذا النوع من الصيد كان مسليا للغاية ، بداية يغلقون الأبواب على الكلاب المنزلية ومن ثم يبدؤون بتصيد الكلاب الشاردة .

لم يكن صعبا إطلاق النار على طرزان ، مسكين هذا الحيوان أتته الرصاصة في كتفه الأيسر ليتكوم على الأرض ، ومع ذلك لم يستطيعوا الإمساك به لأنه فر هاربا .

ثانية شاهدناه في الحي مجروحا .

لكن ذات مرة قام هؤلاء المكافحين خطأ بقتل كلب منزلي ولعل صاحب هذا الكلب كان مهما لذلك تم تغيير هذه الطريقة المنافية للإنسانية . وهكذا راحوا يستخدمون طريقة السم .

ذات مرة قدموا إلى حينا و ألقوا قطع اللحم مسممة وذهبوا ، وهكذا بدأت الحيوانات تترنح و تتكوم على الأرض رافعة قوائمها المرتجفة ، في هذه المرة أيضا حصل ما لا يحمد عقباه إذ أكل كلبان منزليان من هذه القطع المسمومة ، حاولوا إنقاذهما بشتى الوسائل ،

قدموا لهما اللبن المثوم لكن عبثا ، الوحيد الذي نجا منهم هو طـــرزان ، رغم أنه لم يجد العناية و لم يحاول أحد إنقاذه . يومها ظننا أنه مـــات لا محالة . لكن ما حصل أنه رفس بقوائمه حتى الصباح لينهض فيما بعـــد ويفاجئنا بوجوده على قيد الحياة الحي عند الصباح .

و راح صبية الحارة يرجمونه بالحجارة مرددين :

- حياك الله يا طرزان .

عائلة أمريكية سكنت في حينا ، وبسكناهم رد حظ طرزان ، بداية راح ابن الأمريكي ذو الرابعة عشر راح يعطيه ما يأكلـــه ، و مـــن ثم أخذوه إلى حديقة البيت ليصنعوا له بيتا خشبيا . خلال ثلاثة ، أو أربعـة أشهر تغير طرزان القديم واصبح مثل الفستق ، عينـــاه ، و بـــره بـــات لامعا.. حيوان مختلف تماما .. وعندما أصبح جميلا بهذا الشكل كلنا صرنا نحبه. من لا يحب الحيوان الجميل ! ، حتى صبية الحارة راحوا يلقون لـــه الخبز ، ليس الخبز فقط بل وغير ذلك أيضا . حتى أنه عندما يشتري أي واحد اللحم تقوم زوجته بفصل اللحم عن العظام وتطلب من ابنها قائلة:

- خذ وأعط هذه العظام لطرزان ! .

وهناك من راح يعد وجبة خاصة لطرزان مؤلفة من مرق اللحـــم مضافا إليه قطع الجبن والخبز فكثيرون هم .... .

وهكذا تعلقنا جميعا بطرزان .

رجاء لا تتركوا طرزان عطشا. هذا الحيوان المسكين له فم ليـــأكل وليس له لسان ليتكلم، قد ينفق هذا المسكين من العطش ...

قدموا اللحم لطرزان.

راحت العائلة الأمريكية تغسيل طرزان مرة كل يومين إلى ثلاثـــة أيام . وهكذا بدت النظافة على طرزان .

لما جاء الشتاء . قامت العائلة بنقل طرزان إلى الطابق الأسفل . لكن

قبل أن يقوموا بذلك بدأت التعليقات :

- سيقتلون الحيوان من البرد .

- أيعقل بقاء هذا الحيوان في الحديقة في جو بالغ البرودة ؟.

انتهى فصل الشتاء ولاحت نسائم الربيع أخذت العائلة الأمريكية تعد العدة للعودة إلى أمريكا ، عندها سمعنا أنهم سيأخذونه معهم ، وهكذا قامت القيامة في حارتنا ، فنحن أحق به من البداية حتى النهاية .

محمد أفندي حارس السكك الحديدية قال متجهما :

- لن يأخذوه إلى أي مكان ، انه كلب الحارة .

بينما خاله درية راحت تندب باكية :

- لا لن يأخذه أحد ، لقد ولد بين يدي وكبر . عندما أتوا و اعتنوا به قلنا بسيطة طالما أن طرزان أمام أعيننا ، لكن أن يأخذوه إلى أمريكا ، فلا ! ، والله أهدم السقف فوق رؤوسهم .

بينما انتفض إلياس البقال قائلا :

- يا هوه كلب من هذا ، و نعطيه لمن ؟. أولا الكلب كلبي ، ربيته منذ كان صغيرا حتى كبر .

أما ممدوح بك فكان لكلامه طبيعة أخرى ، و بما أنه من أكثر المتنورين في حينا لذلك راح يتحدث بالقوانين :

- لا تهتموا لن يستطيعوا أخذه إلى أي مكان .

سألناه :

- و كيف ؟ .

- لأن القوانين لا تسمح بذلك ... طالما أن طرزان ولد هنا و كبر ترعرع بيننا فكيف إذن سيأخذونه إلى بلد أجنبي .. لن يعطوهم جواز سفر أولا ... ثم .

انتفض أهل الحي ، تدخل " داكتيلو أيتن " قائلا :

- صغيري طرزان ماذا سيفعل في بلاد الغربة ، لقد اعتاد على مائنا و استنشق هواءنا ، لو كان إنسانا لكانت المصيبة أخف لأنه يستطيع العودة ، لكن كيف يمكن للحيوان أن يعود ؟ .

وبسبب طرزان ظهرت معاداة مخيفة لأمريكا ، وبسببه كانت ستحدث فاجعة .

ما كنت في المقهى عندما قال أحد طلاب الجامعة من حينا وأسمه "أوزغر" :

- وللك اتركوه ليأخذوه ... مهما يكن سيتخلص .

كانوا سيقتلونه لولا لطف الله :

- وللك .. ما هذا الكلام ، ماذا يعني " مهما يكن سيتخلص " ، هاه ؟.

صرخ الطالب مستنجدا :

- توقفوا أخطأتم في فهمي ، دعوني أشرح ...

لم يستطع متابعة حديثه لأنهم شجوا رأسه و ضربوه على عينيه . بصعوبة بالغة استطاع التخلص منهم و هرب .

رحنا نطالب تلك العائلة :

- إننا نطالب بطرزان .

تدخل المختار بالمسألة ثم اتجهنا بصحبته إلى المخفر :

- انهم يأخذون طرزان معهم .

أجابنا رئيس المخفر :

- هيا اكتبوا معروضا تبينون فيه أن طرزان هو لكم ، كي أقوم بإجراءاتي.

قام جميع سكان الحي كل على حدة بكتابة معروض مثبتين فيه أحقيتنا بطرزان . إضافة لذلك قمنا بجمع تواقيع أهل الحي مبينين بأننا لن نعطي طرزاننا لأحد ، وهكذا راحت تتبادل الشهادات عن ملكيتنا

لطرزان . ذات يوم بينما كانت الأمور تتفاقم أكثر من ناحية ويتدخل سكان الحارات الأخرى في الموضوع من ناحية أخرى وإذ بالعائلة الأمريكية تبيع عفشها ،استعدادا للرحيل . وضعوا طرزان في السيارة بينما كنا ننظر أمام بيتهم . وحسب تفكيرهم انهم سيأخذونه إلى المطار ويطيرون به .

قال الأمريكي :

- أعطيكم خمسين دولارا و تبيعوني الكلب .

هذا الكلام وتر أعصابنا ، هل يظن هذا الأمريكي أنه بدولاراته سيشترينا ؟.

- ليس بخمسين بل إذا دفعت مئة بل ألف دولار بل مهما كان المبلغ كبيرا فلن نعطيك طرزاننا .

بينما كان المسكين طرزان يرمقنا بنظرات غريبة وكأنه يقول متوسلا :

- أنقذوني من هذه العائلة الأمريكية .

أخذ الأطفال والنساء بالبكاء عليه . وصل رجال الشرطة . أساسا هم يعرفون المسألة برمتها لذلك قالوا لهم :

- مستر ، لا تستطيعون اصطحاب هذا الكلب معكم .

لماذا ؟ .

- لأن له صاحب .

قام الشرطي بنفسه بتخليص طرزان من العائلة الأمريكية و تسليمه إيانا . عندها غادرت العائلة الأمريكية الحارة و نظراتهم إلى الخلف . حسنا لقد أصبح طرزان لنا .

خلال عشرة أيام عاد طرزان إلى وضعه الطبيعي ، أصبح تماما كلب حارتنا . الأطفال يحاجرونه يوميا من الصباح حتى المساء ، يخزونه

بالمسامير ويركبون عليه .

مساء أمس بينما كنت عائدا إلى البيت شاهدت الأطفال وقد مطوا طرزان من قوائمه بالحبال إلى الشجرة وبيدهم قطعة من التنك جعلوها مثل المدية . صرخت بهم :

- ولك ماذا تفعلون ؟ .

قام مدرسهم بذبح الضفدع ليريهم قلب الضفدع وهم بدورهم كانوا يطبقون هذا الدرس على طرزان.

تسكع طرزان مجروحا عدة أيام ، بعد ذلك شفي من جروحه وهو الآن يتسكع في أزقة حينا .

اشتر كل ما تجد

صديق لي يعمل سمسار عقارات ، كان يحدثني عما جرى له بينما كنا قد وصلنا إلى نهاية النفق كي نعبر الجسر:

في هذا الزمن يجب أن تشتري كل ما يقع بين يديك ، يجب أن تشتري بكل ما تملكه من نقود . في العام الماضي قدم إلى محلي أحد القرويين

"أود شراء عمارة " سألته " يعني بحدود كم ؟ " .

لديه تسعون ألف ليرة ثمن أملاكه في القرية التي باعها .

بتسعين ألفا قد تجد بيتا بصعوبة . لكن ، لو قلت له أن هذا لا يمكن ، لتلقفه سمسار غيري و أقنعه بأية طريقة كانت .

رحنا نبحث سوية مع هذا القروي عن عمارة ، هناك طوابق لا تعجبه ، عمارات صغيرة لا يريد ، يصر على أن تكون العمارة بستة ، سبعة طوابق ، إضافة إلى موقعها يجب أن تكون في أرقى مناطق استنبول ، عدا عن ذلك يجب أن يكون في العمارة شيئان :

- يجب أن يكون بيانو " بانيو حمام " كذلك مرجوحة صالون .

كيف عرف بهما ؟..فقد عرف ، وهو مصر عليهما .

الوساطة العقارية ليست سهلة . يجب أن تستخدم لغات مختلفة ، لأنك ستأخذ نسبة البيع و الشراء

" الكومسيون " من البائع والشاري . يعني ، لو وجدت عمارة لهذا بتسعين ألف ليرة ، فأكسب منه ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة . لكن ، على هذا المبلغ ضريبة لا بد من دفعها ، كذلك فللمكتب العقاري مصاريف لا بد من تسديدها ، كذلك أجرة المكتب و مصاريف أخرى جميعها ستدفع من هذا الربح إضافة لذلك فلا بد أن تظهر بمظهر لائق أمام الشاري ، لذلك يجب أن تطعمه وتسقيه .

انطلقنا في رحلة البحث عدة أيام ، أجرة السيارة على حسابي ، كذلك تسليته ، و في المساءات كان لا بد من إطعامه ، دون أن يمد يده إلى جيبه ولو مرة واحدة . عندما أفكر بالمبلغ الذي سآخذه كنت لا أهتم بما أنفق . صرفت من جيبي ألف ليرة تقريبا . والرجل لم تعجبه عمارة واحدة حتى !! . حسب رأيه فإنه يستطيع بهذا المبلغ شراء قصر " دولمه بختشه " أو قصر " توب كابي " . " البعض فلوسه طوابع والبعض الآخر طوابعه فلوس " .

أثناء ذلك تعلمت من أحد الأصدقاء " السماسرة " القدامى أن هؤلاء الفلاحين يقومون بالنصب على السماسرة الأذكياء ، يمضون عشرة خمسة عشر يوما على نفقة هذا " السمسار " بحجة أنهم سيشترون عمارة بمليون ليرة ، بعد ذلك يتركونه ليتحولوا إلى وسيط ثاني ... والوسطاء كثر ، وهكذا تجده يعيش خمس ، عشر سنوات كالبكوات ..

لذلك ، فمن كثر ما بحثنا ، و صرفت عليه ، تصدعت كبدي . ذات يوم خرجنا منذ الصباح الباكر ، يومها عرضت عليه شقة ، و أية شقة عندما تقول تسعين ألف ليرة فكأنك تقول مجانا ، قال لي :

- لا ، لا هذه البناية من ثلاثة طوابق ، كذلك لا يوجد " بيانو " في الحمام و لا غرفة للطعام .

توترت أعصابي تماما :

هنا توجد شقة ، لكن لا أدري هل صاحبها يوافق على بيعها أم لا.

عرضت عليه شقة في عمارة مؤلفة من سبعة طوابق وفي كل طابق شقتين :

آه ! كم هو جميل هذا المكان ، لقد تعلق قلبي بهذا المكان .

قلت له :

بداية كان لا بد من التباحث مع صاحب الشقة ، و نلتقي غدا في المكتب فيما إذا وافق .

في اليوم الثاني وقبل أن أقوم بأي عمل ، دعوت صاحب العمارة الصغيرة ، بعد ذلك بقليل أتى صاحبنا ، ثم راح يتفاوض مع صاحب الشقة ظانا أنه صاحب العمارة الكبيرة .

اتفقوا على البيع بتسعين ألف ليرة ، على الرغم من حججه أن العمارة ليست جميلة .

في اليوم الثاني ذهابنا إلى الشهر العقاري ، وهناك دفعت ما يجب دفعه ، من ثم قبضت ألفا و ثمانمئة ليرة من كل واحد منهما . حتى ذلك الوقت كنت قد صرفت ألفي ليرة على الشاري .

فيما بعد سمعت من غيرهما ما حدث . ذهب المالك الجديد إلى العمارة وهو يظن أنه اشتراها وهناك التقي مع بواب العمارة وقال له :

- أنا صاحب هذه العمارة وأنا مسؤول عنها من هذه اللحظة .

اندهش البواب :

- أمان يا سيدي ، صاحب العمارة يقطن في الطابق الثاني .

راحا يتجادلان فيما بينهما كل منهما يؤكد ملكيته للعمارة وهكذا يتوجهان ومعهما البواب إلى قسم الشرطة ليقول صاحبنا :

- لقد اشتريت العمارة وهاهي وثيقة الملكية .

- أنا ما بعت أحدا و لا أعرف من يكون هذا .

فيما بعد تتوضح الأمور وأن صاحبنا قد اشترى عمارة أخــــرى .
استدعيت إلى المحكمة وهناك أفدت قائلا

" لا يا سيدي أنا لم أبعه تلك العمارة ، بل هذه ، لقد التقيا هـــو وصاحبها واتفقا عندي على الشراء . وتمت الإجراءات في الشهر العقاري لهذا الموضوع . أيعقل أن تباع عمارة قيمتها مليونا ليرة بتسعين ألفا ؟ " .

راح صاحبنا يلطم وجهه ويضرب نفسه .

أنت تظن أنني " خوزقت " الرجل ، واللـــه ليس كذلك . هــــذه العملية تمت قبل سنة . أما الآن فتساوي تلك العمارة التي اشتراها بتسعين ألف ليرة ثلاثمئة ألف ليرة . وجدت له زبونا بهذا المبلغ وهو يرفض بيعــها بثلاثمئة ألف ليرة . وهو مازال يمر إلى مكتبي ليقول لي " اللـــه يرضـــى عليك " . لذلك يا أخي اشتر كل ما يقع بين يديك ، مهما كان هــــذا الشيء ، يجب أن تشتريه بغض النظر عن انخفاض أو ارتفاع قيمته ، المهم أن تشتري ، هذه نصيحتي لك ، اليوم تشتريه وغدا تبيعه .. اشتر كل ما تجد ... لأن كل ما تشتريه هو كسب لك .

كنا قد وصلنا إلى الجسر وعلى صخور الشاطئ كان أحد الصيادين كان يبيع سمك الحنكليس وصاحبنا السمسار كان يقول لي :

- اشتر كل ما تجد ، تنسه قليلا ثم تبيعه بمثليه عندما تبيعه تربح وعندمـا لا تبيعه تربح أكثر ، اشتر بكل ما في جيبك و لا تنتظر !..

تفقدت ما في جيبي ، بعض القروش و قطعة ذات الليرتين ونصف .

قلت للصياد أعطني سمكة .

اشتريت بكل ما معي سمك حنكليس ثم قلت لصاحبي :

يعني إذا تركتها خمسة، عشرة أيام هل أستطيع بيعها بأكثر مـــــن ذلك ! ....

الرشوة

مخزن من مخازن الأقمشة الكبيرة تظلله عريشة كبيرة ، بابه الخارجي يتوسط واجهته وعلى جانبي الباب واجهتان زجاجيتان كبيرتان. من الواجهة الزجاجية تتراءى أكداس من الأقمشة ، و من الباب الزجاجي الدوار تشاهد بالات الأقمشة متوضعة على الرفوف .

كان الوقت مبكرا بالنسبة للسوق ، خاصة أنه نادرا ما يتواجد الزبائن في هذه الساعة في مخازن الأقمشة .

المخزن كبير ، والطقس بارد ، في الداخل مدفأة غازية كبيرة و مواسير طويلة ، أحد البائعين يحاول إشعال المدفأة ، والثاني يحمل بين يديه بالة قماش أزرق بخطوط بيضاء يفتل بها ليوضب القماش مصدرة صوتا خاصا، واضح أنه بائع ماهر من الصوت المشبع الصادر من توضيب القماش ، خلف أذنه اليمنى قلم رصاص.

أما الفتاة الوسيمة الجالسة إلى صندوق النقود ، فكانت تخرج من جيب مريول العمل الأسود ، لقما من الكعك الطري دون أن تلفت نظر الباقين لتأكلها و أمامها صحيفة تقرأ فيها حظها وبرجها لذلك اليوم .

أما صاحب المخزن فقد جلس في القسم الزجاجي المعزول داخل المحل ، وخلفه لوحات خطت باللغة العربية، يتف بين إصبعيه ليقلب ورقات دفتر سميك قديم ، وبين فينة و أخرى يكتب عليها بعض الأشياء .

أمام الواجهة ظهر خيالان . اشتم البائع ذو القلم الرصاص منهما رائحة الزبائن . اتجه نحو الباب الدوار و فتحه . دخل المحل رجلان ، و راحا ينظران إلى بالات الأقمشة على الرفوف .

أشار أحدهما ذو الشوارب إلى بالة قماش وقال :

– أنزلها .

ألقى البائع يده إليها وراح يفردها مصدرا صوتا مشبعا ، راح ذو الشوارب يدقق في العبارة المكتوبة على طرفي القماش :

– هل هذا قماش إنكليزي ؟.

أجابه البائع :

– لا يا سيدي ، بل إيطالي لكنه متين ولا يقل متانة عن الإنكليزي .

أشار ذو الشوارب إلى جهة أخرى و طلب بكرة قماش أخرى :

– هل أستطيع مشاهدة ذلك القماش ؟.

– طبعا يا سيدي .

أنزل البائع القماش ، فأخذ الزبون يتفحص القماش بين إصبعيه ، رفع طرف القماش باتجاه الباب ليعاينه ثم قرأ العلامة المدموغة على طرفي القماش :

– على الأغلب هذا قماش إنكليزي ....

– لا يا سيدي ، بل فرنسي ، لكنه نفيس جدا وظريف و ينافس الإنكليزي .

في هذه اللحظة تدخل الزبون الثاني حليق الشوارب قائلا :

– ألا يوجد لديكم قماش إنكليزي ؟.

– موجود ، أيعقل أن لا يكون موجودا ؟.

أنزل من على الرف خمس أو ست لفافات قماش ثم راح يمدها مصدرا صوت نزول من السلم الخشبي :

انظروا ، كتب هنا " ميد إن إنغلند " .

- ألا يوجد قماش وطني ؟ .

تدخل صاحب المحل من قسمه الزجاجي ناظرا من فوق نظارتيه قائلا :

- يوجد يا سيدي ، لكنني لا أنصح به .

- لماذا ؟.

- غير متين ، ويفقد ألوانه بعد يومين .

عقب البائع على ما قاله معلمه :

- من أجل كم ليرة .. على كل أنتم أدرى . لكن لدينا قماش وطني نفيس من النوعية الجيدة .

أثناء ذلك دخل أحد الزبائن ، اتجه نحوه البائع الآخر . تبادل الزبون الجديد مع الزبونين النظرات ثم تعانقوا :

- آه ... موسى !!! .

- أووو ... إسماعيل .

- ألم تكن مفتشا في ازمير ؟.

- أنا في استنبول منذ ستة أشهر .

- هل لا زلت مفتشا ؟.

- لا ، أصبحت مراقبا .

تحدثا بعض الشيء

- هل تبحثان عن قماش ؟.

- نعم ...

قلت له :

- وأنا أبحث عن قطعة لأخيطها ثوبا .

راح البائع يعرض على الزبون الجديد بعض أنواع القماش .

بينما أعجب ذو الشارب بقطعة قماش إنكليزي وحليق الشارب بقطعة قماش إيطالي . القطعة الإنكليزية " كوبون كامل " بسبعمئة و ثمانين ليرة .. متر الإيطالي مئة وست وثمانون ليرة ..متران ونصف ..

بينما كان البائع يقص قطعة القماش قال له :

- إنشاء الله ألف مبروك تلبسه بالهنا .

اتجه ذو الشارب باتجاه صاحب المحل و هو يخرج محفظة نقوده و سأله :

- هل لي أن أطلع على فاتورة القماش ؟.

اختطف لون وجه البائع ، وارتخت شفته السفلى ، ثم راح يرتجف . ورد عليه وهو يصطنع الابتسامة الغائبة:

الفاتورة ؟... طبعا الآن ... يا سيدي .. طبعا لدينا الفاتورة .. لكن... فقط ..

- ألا تخجل أن تبيع القماش الوطني بوصفه قماشا إنكليزيا ؟.

أخرجا من حقيبتهما ورقة ، كي ينظما ضبطا بذلك .

اقترب الزبون الذي قدم لاحقا من صاحب المحل ليسأله :

- ماذا حصل ؟.

أجابه صاحب المحل ذو الوجه المخطوف :

- أمان ... أنتم تعرفون .. أتوسل إليك .. وإلا سيخرب بيتي . هذه الأقمشة معروفة .

رد عليه ذلك الزبون :

- انتظر ، قد نجد حلا .

ثم اقترب من صديقيه ليهمس في أذنيهما ثم عاد إلى صاحب المحل ليفتح يديه مشيرا إلى أصابعه العشرة .

أما البائع فقد كان على وشك البكاء .

تهامس مع صاحب المحل . ثم عاد إلى المراقبين وتهامس معهما أيضا ليعود ثانية طاويا إصبعا مشيرا إلى التسعة وهمس في أذنه ببعض الكلمات. ليعود ذاك الذي يقوم بالوساطة إلى المراقبين . هذا التهامس كان يتم في وسط المحل ، حيث كان يجري على مرأى من الجميع . أشار الوسيط لصاحب المحل على أصابعه الستة وقال له :

- كل ما أقوم به هو عمل الخير ، يقولون إنهم لن يتنازلوا عن ذلك قرشا واحدا .

نظر البائع إلى محتويات الصندوق وقال :

- يا فتاح يا عليم ، لا يوجد في الصندوق ما يكفي ، رجاء دعهم ينتظروني خمس دقائق ، ولشربوا كأسا من الشاي بينما أسحب المبلغ من البنك .

همس صاحب المحل في أذن ذلك البائع الذي وضع قلما خلف أذنه ، وذهب إلى البائع الآخر ليطلب منه الشاي بينما هرع البائع الأول إلى الخارج .

بعد قليل حضر الشاي ، بينما كان المراقبان يشربان الشاي دخل زبونان ليشتريا أقمشة .

أحضر البائع المبلغ و سلمه للمعلم ، ليسلمه بدوره للوسيط ، ثم قام الوسيط وسلم المبلغ لذي الشاربين ، وعندما أصبح المبلغ بيد ذي الشاربين اندفع نحوه أحد الزبونيين الذين قدما مؤخرا وكانا يتفحصان القماش. أخذ المبلغ من يده و أخذ يتفحص أرقام المبلغ بينما قام الآخر بمطابقتها بما كتب في الضبط المجهز مسبقا وقال :

- نعم ، مطابقة .

ثم طلب من المراقبين بطاقتيهما ... راح المراقبان يتوسلان .

استرجع صاحب المحل نقوده . جميعهم كانوا يتهامسون وسط المحل

عندما قال أحد اللذين قدما أولا :

- سأجلبه خلال خمس دقائق .

قام البائع بوضع كيس فيه قطعتي قماش بيد أحد اللذين ضبطا المراقبين متلبسين .

دخل المحل زبونان رجل و امرأة ، كان البائع بعرض الأقمشة عليهما بغير رغبة ، عندما عاد ذلك الذي خرج ، ومد يده وفيها عشر ورقات ذات الألف في هذه اللحظة اندفع الرجل والمرأة ممسكين بالنقود .

قال أحدهما :

- هذه نقودي .

ردت عليه تلك المرأة :

- إنني اتفحص أرقامها .

راحا يتوسلان ، بينما كان الرجل وتلك المرأة ومعهم صاحب المحل الذي كان يغش الناس بالقماش الوطني على أنه قماش إنكليزي يعدون الضبط اللازم .

جميعهم يتحدثون بصوت منخفض وسط المخزن عندما قال أحدهم:

- انتظروني سأعود خلال خمس دقائق .وخرج راكضا .

دخل ثلاثة زبائن المخزن ، راحوا يستعرضون الأقمشة .

أثناء ذلك عاد الذي خرج قبل قليل حاملا معه رزمة من النقود ليعطيها لتلك السيدة ، وفجأة اندفع الثلاثة ممسكين بيد تلك السيدة وصرخوا :

- بطاقاتكم الشخصية !.

أخذ الجميع يتوسلون ، دخل صاحب المحل قسمه الزجاجي بينما كانوا يتهامسون فيما بينهم ، رفع سماعة الهاتف :

- أهنا مديرية الأمن ؟... نعم .. يا سيد ... يا سيدي قدم مراقبان وطلبا مني رشوة .. اشتكيت قدم آخرون وطلبوا منا جميعا رشوة .. استبقيناهم بحجة جلب النقود ... ثم قدمنا شكوى ... قدموا ... منا جميعا .

أعطاهم عنوان المحل ثم اتجه صوب المتهامسين ، طالت المفاوضات . أخيرا و لكي يغضوا النظر عن الجميع طلبوا منهم جميع ما دفع لهم دون أية مساومة . أثناء تفاوضهم دخل المحل زبونان آخران . تجمع في المخزن خمسة عشر شخصا .

بينما كان الزبونان ينتقيان بعض الأقمشة ، كانت المفاوضات قد انتهت و هدأ الجو وبينما كانوا خارجين من المخزن قطع الزبونان طريقهم :

- هيا هاتوا النقود .

عندها قال صاحب المحل :

- هاهما المفتشان الحقيقيان .

التفوا حول المفتشين ثم راحوا يستجدونهما .

لم تنفع النقود معهم . جميع من قدم قبلهما كانوا مراقبين غير حقيقيين ، يعني جميعهم مزيفين وانتحلوا شخصية المراقب .

قال صاحب المحل ملتفتا نحو أول الداخلين وقال :

- عرفت زيفكم منذ لحظة دخولكم .

سأله المراقب الحقيقي :

- ومن أين عرفت ذلك ؟.

- لأنهم لم يأخذوا قطعة القماش و يغادروا المحل فورا .

أثناءها جميع المزيفين كانوا قد اجتمعوا .

بيوت عش البلبل

أجرة البيت التي أدفعها قياسا إلى راتبي مرتفعة جدا ، لكن ،قياسا إلى الإيجارات التي يدفعها غيري فإنها تعتبر بخسة جدا، من يجد بيتا كبيرا في هذه الأيام بمئتين و خمسين ليرة شهريا ؟ هذا الأجرة ليست رخيصة قليلة وحسب بل هي أشبه بالمجانية ...

أصابتنا الدهشة والحيرة عندما علمنا أن صاحب الشقة بصدد بيع عمارته.. ماذا سنفعل و إلى أين سنذهب؟... و أي مكان سيسع هذه الرؤوس السبعة ؟.

سألت صاحب المنزل عبر الهاتف :

- هل صحيح ما سمعناه ، إنك بصدد بيع العمارة ؟.
- نعم ، أنا بصدد ذلك ، و سأقوم بالتسهيلات فيما لو أن المستأجرين رغبوا بالشراء .
- أية تسهيلات ؟.
- تسهيلات في الدفع .
- بكم ستبيع الطابق " أقصد الشقة " التي نسكنها ؟.
- بخمسة وسبعين ألف ليرة .

ارتجفت و كأن البردية أصابتني

- حسنا ، وماذا عن التسهيلات ؟.

- تدفعون دفعة أولى و الباقي فيما بعد .

ماذا يعني بالدفعة الأولى ، وكم ، بالنسبة لخمسة وسبعين ألف ليرة؟. مهما قسمت هذا المبلغ لن يصبح خمسا وسبعين ليرة . لكن عندما يفقد الإنسان الأمل فإنه يتعلق بالأوهام ، كما يتعلق الغريق بالقشة . لذلك قلت بيني و بين نفسي قد يكون صاحب بيتنا رجلا طيب القلب ويقول " يا روحي ، يا عيني ، ألا تستطيع أن تدفع مئتين وخمسين ليرة شهريا ، أجيبه "نعم أدفع" يقول لي " إذن استمر بذلك حتى تسدد خمسة وسبعين ألف ليرة "

حقيقة أن هذا شيء رائع و حساب في غاية العقلانية ، هذا يعني أنني سأسدد ثلاثة آلاف ليرة سنويا و في عشر سنوات ثلاثين ألف ليرة و خلال عشرين سنة ستين ألف ليرة يعني تقريبا بعد خمس وعشرين سنة سأكون صاحب بيت و أنا أدفع الأجرة الشهرية لصاحب البيت الذي أسكنه.

سألته :

- وكم تساوي الدفعة الأولى التي تحدثت عنها ؟.

سأترك تقديرها للمستأجرين .

لو كنتم مكاني كيف ستحددون هذا القسم ؟. هيا قولوا كم سيكون القسم الأول لطابق بخمسة وسبعين ألف ليرة كي نعتبره عربونا . يعني مقابل الخمسة وسبعين ألف ليرة لا بد من أن أستدين من أحدهم ألف ليرة كي أسدد له كعربون ثمن البيت ، و أستدين منكم بقية ما حددتموه

عندما لا حظ صاحب البيت توقفي عن الحديث قال لي :

كم يمكنك دفعه ؟.

من ؟ أنا ؟ والله أنا ... يعني ... أليس القسط الأول ؟.بحدود مبلغ

ما ... طبعا سأدفع ..لطكن ... كيف سأشرح لكم ... لا حظوا مـــا لدي...

ما هي استطاعتك ؟ .

ما هي استطاعتي ؟ لا شيء لكنني خجلت و إذ بلساني ينفلت بـــ :

- أدفع خمسة وعشرين ألف ليرة .

والباقي ؟ .

والباقي أسدده على سنتين ، خمسة وعشرين ألف ليرة في كل عام .

أجابني صاحب البيت قائلا :

حسنا ، سأحجز الطابق الذي تسكنه لك و لن أبيعـــه لغـــيرك . تزورني وتدفع المبلغ كي تأخذ ورقة الطابو .

وهكذا تملكني التفكير . طبعا لن أستطيع شراء البيت لكنني بهـــذه الطريقة أكون قد تخلصت ولو مؤقتا من إزعاج الزبائن الراغبين بإلقـــاء نظرة على البيت ، الداخلين والخارجين . أما في الطوابق الأخرى فعلـــى أقل تقدير يؤم كل طابق عشرة مستطلعين يوميا .

عندما تنظر إلى عدد الزبائن الذين يؤمون العمارة تظن أنها ســـتباع خلال عدة أيام . لذلك ولكي نصل إلى قرار مناسب عقدت اجتماعا مع جميع أفراد الأسرة . و فيه اتخذنا القرار التالي " تقوم الصحـــف بنشـــر إعلانات عن بيع بيوت أو شقق أو عقارات بأســـعار رخيصـــة جـــدا وبالتقسيط . لذلك كنا سنجد ما يناسبنا لنشتريه مباشرة . بعدما اتخذنـــا هذا القرار بإجماع العائلة اشترينا صحف ذاك اليوم . يومها فقط لاحظت ولأول مرة الكم الهائل للعرصات والمنازل المعروضة للبيع .

لعل أكثر ما يناسبنا و يناسب وضعنا كانت " بيوت عش البلبل " . إعلان طويل منشور في الصحيفة . وفي هذا الإعلان مخطط لهذه البيوت . هذه البيوت محاطة من جانبيها بالبحر . عندما شاهد ابـــني البحـــر في

المخطط قفز من مكانه فرحا . أما ابنتي فراحت ترقص مسرورة .

في الإعلان المذكور يوجد مجمعات طابقية و فيلات . حسب رغبتك تشتري شقة أو فيلا . لقد مللت من كلمة بيت ، فكما هو معروف أن لكل طابق مشاكله ، الأرضي له مشاكله و الطابق الآخر له مشاكل أخرى لذلك فإن أفضل شيء في هذه الحالة الفيلا .. لكن الفيلا ثمنها مرتفع خمسة وستون ألف ليرة نصف المبلغ يدفع سلفا و الباقي يقسط لمدة ثمان سنوات . لو حصل المستحيل لا نستطيع إيجاد خمسة و ثلاثين ألف ليرة . أما الشقق فتتراوح أسعارها بين خمسة وعشرين و ثلاثين حتى الأربعين ألف ليرة . نصفه يدفع سلفا والباقي يقسط أيضا على ثمان سنوات . يعني لو أخذنا شقة بخمسة وعشرين ألف ليرة علينا تسديد اثني عشر ألفا وخمسمئة ليرة . المسألة الآن أخذت الطابع الجدي بشكل أكبر . كيفما كان ، يمكن تأمين اثني عشر ألفا و خمسمئة ليرة . إضافة لذلك ، يحمل الإعلان المذكور الصور التوضيحية للشقق . و هكذا بشكل عادي و كأنني اشتريت أحد هذه الطوابق ، رحت أشعر كأن هذا الطابق مثل فندق هيلتون . الأولاد ينظرون إلى الصورة ليختاروا شقة من شققها . العمارة من خمسة طوابق.وأنا اخترت الطابق الخامس.

زوجتي ذكية لذلك قالت :

الطابق الخامس ، لا يجوز .

لماذا ؟.

بعض الأحيان تجد ماء المطر يتسرب من السقف ، ومن أجل إصلاح السقف لن يدفع أحد من الطوابق السفلية بحجة أن هذا التسرب لا يصيب أسقف بيوتهم ، لذلك علينا شراء الطابق الرابع .

صحيحة هذه الفكرة ، لذلك عندما يتسرب الماء من السقف في الطابق الخامس لن ندفع لهم لإصلاحه لأننا نسكن في الطابق الرابع . في

كل طابق ثلاث شقق ، وخيارنا كان الشقة التي إطلالتها واسعة على البحر ، ليس دقيقا عندما أقول أن الشقة تطل على البحر لأنها تقع على شاطئ البحر أمامها الشاطئ و محاطة بالبحر من كل أطرافها .

جمعت الأطفال فورا إلى ندوة لأقول لهم :

يا أولاد ، لا شيء أفضل من البحر ، من البحر بدأت الحياة ، ومن ثم انتقلت إلى البر ، صحيح أن الجد الأول للإنسان هو القرد لكن من هو جد القرد ؟ .. طبعا السمك ، حتى أنكم قد شاهدتم في كتب التاريخ الإنسان الأول في البحيرات والذي سكن أعالي الأشجار .

سألني ابني الصغير :

لكن يا أبي ، هل نحن الإنسان الأول ؟.

أجابه الأكبر :

لا لسنا الإنسان الأول لكن من أين تدري أننا قد نكون الأخير ؟.

تدخلت بينهما قائلا :

نعم سنسكن على جانب الماء لكن ليس في قمم الأشجار بل في شقة سكنية .

المنطقة التي سنسكنها حسب الإعلان المنطقة مأهولة بالسكان ، كذلك هناك مدرسة ابتدائية ، بحثنا في المخطط ووجدنا المدرسة مباشرة ، تخرج من عمارتنا لتدخل إلى المدرسة مباشرة . إضافة لشاطئ البحر هناك " كازينو " . ومشفى يبعد عن بيتنا بحدود مئة متر ، ومخازن ، مجمعات استهلاكية وسوق ، المنطقة مخدمة بالماء والكهرباء ، كذلك الهاتف . أما بالنسبة للماء فالساخن ممدد إلى جميع البيوت نقي و محلل في المخابر ، تبين أنه أفضل ماء في العالم .

رحنا كلما قرأنا سطرا من الإعلان نطلق صيحة مسرورين ، ولو أعرف أن هيبتي كأب لن تتزعزع أمام أولادي لقمت ورقصت . أما

حماتي فلم تتحمل الموقف فبحجة خروجها من الغرفة راحت تهز وسطها وهي تغني أغنية قديمة " نازلة على السلم تتدحرج " وتطقطق بأصابعها .

بينما أنا وبسبب حسن مزاجي قلت لزوجي :

هيا، سبق وأن ركنت جانبا قليلا من القهوة للضيوف قومي وأعدي لنا فنجان قهوة بهذه المناسبة .

يد زوجتي فيها بركة فقد أعدت القهوة وكانت كافية لي ولها ولحماتي .

قالت :

- لم يبق القهوة .

لم أصدق ما قالت لأنها أخفت بعض القهوة للضيوف .

بينما كنا نشرب القهوة فجأة ثبنا إلى رشدنا و تذكرنا أنه لكي نشتري الشقة . لا بد من تسديد اثني عشر ألفا و خمسمئة ليرة نقدا ، و من أين لنا هذا المبلغ ؟. سألت زوجتي :

أه ه ه .... يوم الأربعاء أعطيتك مئتي ليرة قومي وهاتهم .

واه واه أي مئتي ليرة ؟ أنت منذ عشرة أيام أعطيتني مئتي ليرة و لم يبق منهم ولا مئتي قرش .

صرخت بهم :

أنتم دائما هكذا مطبقين المثل " أصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب " وبذلك من الصعوبة أن نتخلى عن البيوت المأجورة و أن يكون لدينا بيت خاص بنا .

وهل كنت ستشتري بيتا بمئتي ليرة ؟.

الله .. الله .. مئتين من هنا و خمسمئة من هناك نستطيع استكمال ال اثني عشر ألفا و خمسمئة ليرة

تدخلت الحماة بالنقاش قائلة :

يا أولاد ، في صندوقي ثلاثمئة ليرة ، ادخرتها من أجل جنازتي ، كنت لن أعطيها لأحد، لكن طالما أن الهدف شراء بيت ، لذلك أستطيع إقراضك المبلغ ، شريطة أن تعيده لي بعد استقرارك في البيت الجديد مباشرة .

طبعا يا روحي لن نأكل وننفق ما ادخريته من أجل جنازتك ..

قلت لإبني :

- هيا خذ ورقة وقلما و سجل ما سأمليه عليك .. ثلاثمئة .

كتب أكبر أبنائي ثلاثمئة على الورقة .

- ثم اكتب ألفا ..

سألتني زوجتي :

- ومن أين هذا المبلغ ؟.

- ما سآخذه بعد عشرة أيام من عملي .

- إيه ! ، وماذا سنأكل و نشرب ؟.

دعي الأكل والشرب الآن و لنفكر ببيت يستر رؤوسنا .

أضاف ابني إلى الورقة ألف ليرة

- كم المجموع ؟.

- ألف و ثلاثمئة ليرة .

- آه قطعنا شوطا كم بقي ؟.

- أحد عشر ألفا و مئتي ليرة ..

- أكتب خمسمئة ليرة ...

- ومن أين ؟.

- نبيع الموسوعة .

- كيف كنت تفكر عندما اشتريت الموسوعة ، لا أدري ؟ .. قلت

لك لا تشتريها ، تشتري بألف و خمسمئة وتبيع بخمسمئة .

- يا روحي ما الضرر في شرائنا للموسوعة ، لا حظي ، نبيعها الآن و نستفيد من ثمنها . هيا أكتب مئتين وخمسين ليرة .

- ومن أين هذا المبلغ أيضا ؟ .

- سبق و أن أقرضت حسني و لم أطالبه منذ اثنتي عشر سنة ، سأذهب و أطالبه . كم المجموع ؟.

ألفين وخمسمئة ليرة .

- آه يا أبي كثيرا ما كنت تقول أن العم نجدت مدين لك بمئة وثمانين ليرة.

- برافو ، عفارم عليك لأنك ذكرتني هيا أضف هذا المبلغ على الورقة .

تحمست زوجتي بسبب أجواء المنافسة التي كنا نعيشها فقالت :

- اكتب ، و ثلاثمئة ليرة مني !.

- هاه على أساس أنه ليس لديك نقود ؟.

- سبق أن خبأت هذا المبلغ لظروف قد نكون بحاجة إليه .

- آه .. انتظر ، انتظر قليلا ! . تذكرت لي مع " شيناسي " أربعمئة وخمس وسبعين ليرة ، صحيح أنه مر زمن طويل على ذلك ، لكن ، لا يهم ، سجل ، كم المجموع ؟.

- ثلاثة آلاف و ثلاثون ليرة .

- يا هوه ، ولو بعنا بعض الأشياء .

- أمان يا ربي و هل لدينا ما نبيعه ؟. مجانا لو أعطيت لرفضت عطيتك .

- لا تتكلمي بهذا الشكل ، أنت ، سجل ألفي ليرة من مبيع الأغراض . كذلك اقترض من " هدايت " ثلاثة آلاف ليرة ، كذلك سجل أربعة آلاف .

- من أين ؟.

- من صبري .
وهكذا لملمنا اثنتي عشر ألفا و خمسمئة ليرة .
- هل لاحظتم أن على المرء أن ينوي ، و اللـــه يعـــين مـــن يرغـــب الحصول على منـــزل .
في اليوم التالي أعددنا العدة . لكن ما حسبناه للإثنتي عشر ألفـــا و خمسمئة ليرة التي على الورق لم نحصل عليه بالقروش حتى ، لم يسدد أحد من المدينين دينه أحدهم لم يتذكر ذلك بتاتا بينما الثاني قال لي :
- أساسا أنت مدين لي بخمسمئة ليرة .
أما حماتي التي تشجعت ووافقت على أن تقرضني ما خبأته لجنازتها فقد رفضت ذلك قائلة :
- أخشى أن أموت و أفضح في جنازتي .
في منتصف الليل و أنا مستلب بسبب التفكـــير الـــذي تملكـــني ، التمعت فكرة في أعماقي ، فكرة طلب سلفة من عملي على راتبي لمـــدة سنة .
كانت هذه الفكرة من أنجع الطرق للخروج من هذه الورطـــة ، و عندما قلت لهم أنني سأشتري بيتا دفعوا لي جميع رواتبي عن عام كـــامل سلفا ، استلمت النقود من البنك ودفعت فوائده .
في البيت قالت زوجتي :
- حسنا ، و كيف سنعيش طوال العام ؟ .
- من يفكر بالمأكل و المشرب في هذه الأحوال ، بداية لنشتر البيت و إلا سنتشرد في الشوارع .
سأعمل لمدة سنة كاملة بلا أجر ، أو بالأصح و بسبب حصـــولي على مجمل رواتبي كنت أشعر كأنني أعمل بالمجان .
وضعنا النقود في الجيب وسعادة ما تملكتنا كدنا نطير بســـببها ...

خرجنا من البيت مع العائلة و الأولاد متجهين إلى المكتب العقاري الذي استدللنا على عنوانه من الصحيفة التي نشرت الإعلان بهذا الخصوص . لم تكن لدي الرغبة بمرافقة الأولاد في هذا المشوار ، لكن، كانت لديهم الرغبة العارمة بمرافقتنا بسبب انفعالهم.

حسب الإعلان المنشور ، ستنطلق الحافلة من أمام المكتب العقاري في الساعة العاشرة لتوصلنا إلى بيوت عش البلبل .

يوجد في المكتب العقاري " ماكيت " وصور عماراتنا و فيللنا ، كم أعجبت بتلك الشقة التي شاهدت صورها في الإعلان لذلك رحت أردد عبارة شقتنا ، شقتنا . حقيقة أن جميع الشقق و الفيلات جميلة .

آخرون أيضا أتوا حسب الموعد ، و هكذا اجتمعنا ستة عشر شخصا ، لكنهم لم يأتوا بشكل عائلي مثلنا ، كل بمفرده بيننا أربعة نساء.

الساعة الآن الحادية عشرة . امرأة بدينة تساءلت قائلة :

- ألن يتحرك الباص ؟.

بسبب قلة الحاضرين علمنا أننا سنذهب بالسيارة ، في الحادية عشرة والنصف انحشرنا في ثلاث سيارات و انطلقنا في سيارتنا كانت عائلتي فقط . فترة طويلة مرت ونحن في الطريق . خرجنا من المدينة ، بعدها بساعة سألت السائق :

- أمان يا صديقي ، على الأغلب أننا تهنا عن الطريق لأنه كما هو مبين في الإعلان فإن المكان الذي نقصده ليس بعيدا إلى هذا الحد .

- إنني أتبع السيارة التي تسير أمامنا ، هكذا وجهوني .

سيارتنا كانت الثالثة والأخيرة . وهكذا أمضينا فترة أخرى على الطريق ، ثانية لم أستطع تحمل الموقف لذا سألته :

- أخشى أن يكون الذي أمامنا قد تاه عن الطريق .

أجابني السائق بانزعاج :

- صاحب المكتب في السيارة الأمامية .

مر علينا ساعة أو ساعتين فتملكني شعور بالشك ، التفتت إلي زوجتي و همست في أذني:

- كان علينا أن لا نجلب النقود معنا ، ماذا لو قاموا بسرقتنا في جبل من الجبال سننتهي لا محالة .

حتى سائقنا أخذه الشك إذ راح يضغط على زمور السيارة و هو يقول :

- أم أننا رحنا نتبع سيارة أخرى ؟.

ثم سار بسيارته بسرعة ، و عند تجاوزه السيارة الأمامية سأل سائقها :

- هل سنسير بعد ؟.

أجابه أحدهم من تلك السيارة صارخا :

- مسافة قصيرة فقط .

راحت سيارتنا تتبعها ثانية ثم انحرفنا عن يمين الطريق الإسفلتي إلى طريق ترابي ، وبعد مدة من المسير على ذاك الطريق صعدنا جبلا ثم نزلنا واديا . تحولت سيارتنا إلى فرن لنشوي فيها في هذا الطقس الحار . وكلما هاج محرك السيارة ، كلما ازدادت حدة غضب السائق ، ليشتم و يسب:

- ولك هل وصلنا إلى ولاية قونيا أم إلى سهول هيمان ؟.. هل هذا المكان هو الطرف الآخر لجهنم؟..

-ولك ماذا هل جن هؤلاء ؟.. هل تبنى البيوت على قمة الجبل ؟..

أجابه ابني الصغير :

- هنا ليس قمة جبل بل شاطئ البحر .

انتهى الطريق الترابي، و بدأت المطبات ، بينما كانت السيارة تعبر هذه المطبات صاعدة نازلة ، و مؤخرتها ترتطم بتلك المطبات مصدرة

صوت ارتطام عنيف ، توقفت السيارة الأولى ، ثم الثانيـــــة ، و أخـــيرا سيارتنا . نزلنا من السيارة ، استنشقت نفسا عميقا ثم قلت :

- يا أولاد انظروا إلى جمال هذه الطبيعة ، واضح أننا وصلنا إلى بيوتنا .

أجابني ابني مستغربا:

- أين هي المناظر يا أبي ؟.

لم استطع تحمل تشويه سمعة البيت الذي سنشتريه لذلك قلت لـــــه صارخا :

- أصابك العمى ولك ! ، منطقة مثل الجنة ، انظر إلى جمال هذه الطبيعة.

موطئ أقدامنا مكان صخري ، قطع صخرية مثل الجمر ، صخـــور ملتوية و ملتفة ، لو حاول طلاب الجيولوجيا إيجاد مثل هذا المكان لمـــا استطاعوا ، كانت أشعة الشمس المنعكسة على الصخور الحامية تلفـــح وجوهنا عندما قالت زوجتي:

- ما أحلى هذه النسمات البحرية التي تنعشنا .

أثناء ذلك كان صاحب " بيوت عش البلبل " يتشاجر مع السائقين الثلاثة ، كانوا يقولون له إنهم لن يتحركوا خطوة واحدة إلى الأمام .

أمام سائقنا الذي كان أكثرهم قلة أدب وحياء قال :

- يا سيدي ، على هذا الطريق حتى البغال لا تستطيع المسير .... فـــهل تستطيع سيارتنا المسير ؟..

كم تعمقت في أعماقنا أمل امتلاك بيت ، حتى أن امرأة سمينة مـــن بين الزبائن تدخلت لتقول :

- آه ، كم هو مريح النـــزول إلى الوداي ، أيعقل أن لا تستطيع السيارة المشي عليه .

غضبت حماتي من كلام تلك المرأة وقالت :

- يا إلهي ، أنت لم تشاهدي أي نزول لذا عن أي نزول تتحدثين و أيـــن

الميول في ذلك ، ألا تلاحظين أنه طريق مستوي كالكف ..

عندما رفض السائقون الاستمرار في المسير قال :

- يا سادة ، لم يبق أمامنا سوى خطوتين ،لذا دعونا نتابع مشيا على الأقدام .

ثم التفت إلى السائقين وقال لهم :

- انتظرونا .

رد عليه أحد السائقين قائلا :

- لا يمكن الانتظار تحت الشمس المحرقة فسيارتنا سوف تتعطل .

تدخلت متحدثا مع السائقين :

- " زودتموها " النسيم العليل ينعش المعلول ، كل ما هنالك ، عليكم الاهتمام بأنفسكم و لا تقفوا في مهب الريح ، قد تصابون بالنزلة الوافدة .

خلعت جاكيتي ، لو عصرته ، لسال منه دلوا من العرق .

قلنا يا الله وشددنا العزم على المسير . بداية سلكنا طريقا معبدة ، لكن بعد قليل من المسير غابت الطريق لنسلك دربا ضيقا ، وبعدها بقليل غاب الدرب تماما ، لنغوص في أرض بكر ، أراض قاحلة و متموجة .. رحنا نتحدث أثناء ذلك عن المناظر الجميلة . كم مشينا لا أدري .

أحد الزبائن سأل صاحب المشروع قائلا :

- في أي ولاية نحن الآن ؟.

تفحصه صاحب المشروع بنظرات غريبة .

تدخلت بينهما قائلا :

- أرجوك يا سيدي ، تعتبر المنطقة وسط استنبول .

- ماذا يعني تعتبر وسط استنبول .

أجبته :

- يعني ، هذا ... هكذا يقال ..
عبرنا أثناء مسيرنا في تلك الأراضي القاحلة جبلين ، ثلاثة جبال لنصل إلى منطقة قاحلة تماما ، كلما دسنا على الحصى كانت تنزلق من تحت أرجلنا .
طلبت سيدة سمينة :
- هل نستريح قليلا في هذا الفيء ؟.
ذاك المكان الذي أشارت إليه يقع إزاء صخرة تنضح لهبا ، لو تركت البيضة لنضجت خلال دقيقتين ولو وضعت السمكة عليها لأصبحت فورا سمكا مجففا . تدخلت حماتي قائلة :
- هيا لنسرع قليلا لنصل بيتنا سالمين .
كم أعجبنا بالبيت الذي شرعنا لشرائه لدرجة أن حماتي راحت تردد كلمة بيتنا دون أن تراه .
خرجنا في أراض جرداء قاحلة و كأننا مكتشفون مثل الكشافة أو الرحالة .
راح ابني يتأفف قائلا :
- تعبت يا أبي .
رد عليه أخوه الكبير :
اسكت ولك ، يقولون إن البيت على شاطئ البحر ، عندما نصل سنسبح فيه .
بعد قليل راح يتأفف ثانية :
- عطشت يا أبي .
أجابه أحد مرافقينا :
- تماسك قليلا ... سنصل بعد قليل ، هناك الماء البارد مثل البوظة .
أخذت مجموعتنا تتهاوى واحد إثر آخر ، ابني الصغير حملته في

حضني بينما قالت ابنتي :

- لا أستطيع متابعة المشي .

زجرتها حماتي :

- ولك يا ابنتي لا نستطيع تركك في هذه المنطقة الجبلية و إلا ستمزقك الذئاب والطيور .

قال لها أحد الزبائن :

- لا تهتمي يا خالة فالذئاب لا تعيش في هذه المناطق الحارة ، و إن وجد كائن فالنمور .

بعدما تجاوزنا الروابي والسهول وصلنا إلى جبل أجرد و أي جبل ، فالذي يقول أنا متسلق جبال لا يستطيع المسير في هذه المنطقة ، غضبت كثيرا حتى أني صببت جام غضبي على أسرتي :

- ولك أيعقل المجيء إلى هذه المنطقة مع الأطفال و الصغار ؟. انظروا كل واحد منهم أتى لوحده لم أتيتم ، هل نحن في نزهة ؟؟.

راحت زوجتي تجمل طريق البيت الذي سنشتريه :

- صحيح أن المنطقة عالية قليلا ، لكن هكذا أفضل ، بالصعود والنزول لا نسمن بتاتا و لا نترهل .

بقي الجميع في أسفل الجبل ، لذلك رحت أحملهم إلى أعلى الجبل منهم على ظهري و منهم على حصري والبعض في حضني ، عندما بلغنا قمة الجبل تنطح صاحب المشروع قائلا :

- ها قد وصلنا .

قال أحد المشترين مسرورا :

- آه ه ه !!! كم المنطقة قريبة .

جعلت من كفي مظلة فوق عيني لأنظر إلى المكان المشار إليه ، لم أر شيئا ، كذلك فعل الآخرون . أعتقد أنهم لم يشاهدوا شيئا . أحد الشيوخ

المسنين الذي كان معنا قال :

- حقيقة إنها منطقة جميلة . ردت عليه تلك المرأة السمينة

- جميلة جدا .

جميعنا رحنا نتحدث عن روعة تلك المنطقة باستثناء ابنتي و أخويها

سألتني ابنتي :

- أين العمارات ؟.

- ستشاهد عندما نعبر الجبل على ما يبدو .

سألني ابني :

- و أين البحر يا أبي ؟.

- و لك يا ابني أيعقل أن يكون البحر في قمة الجبل ؟. لننـــزل من علـى الجبل لنصل إلى البحر .

عندما عبرنا تلك المنطقة وصلنا إلى كومة من الحجارة ، وفجــــأة خرج رجلان من أين ، لا أدري ليستقبلانا،على يمين كومة الحجــــارة ، قليل من التراب وبقعة صغيرة محفورة .

أحد المرافقين الذي قدم مع صاحب المشروع قال لنا:

- هذا هو المكان .

قلت له :

- المنطقة جميلة ، لكن ، أين هي العمارات ؟.

وقف على كومة التراب مشيرا بيده

- هنا يا سيدي ، هذا هو الباب ، وباب في الخلف ، في كل طابق ثلاث شقق . هنا غرفة النوم وغرفة أخرى هناك ، مطبخ مساحته عشرون و آخر خمسة وثلاثون .

ثم التفت نحوي :

- ترغبون في الطابق الرابع أليس كذلك ؟.

رفع يده مشيرا نحو الأعلى :

- هذه هي شقتكم .. هذا الحمام .. الصالون وسيع جدا .. يمكنكم استخدامه غرفة ضيوف عند الحاجة .. متران بمترين ونصف ..

ثم راح يشرح لنا جميعا :

- في هذه العمارة خمس عشرة شقة .

كنا نتابعه بنظراتنا بينما كان يشرح لنا .

- ومن الخمسة عشر شقة بيعت إحدى عشرة شقة .

كنا نتابع سبابته المتحركة بنظراتنا و كأننا نقتفي آثر ذبابة طائرة .

- وبقي لدينا أربع شقق .

لم نر تلك العمارة و كأنه هو الوحيد الذي كانت العمارة مرئية له

- إحدى هذه الشقق فقط مؤلفة من ثلاث غرف أما الباقية فمؤلفة من أربع . وكما تشاهدون لقد استخدمنا مواد بناء متينة إنها مبنية بشكل متين .

على ما يبدو فإن جميع المشترين متضايقين في سكناهم حتى أنهم لم ينبسوا ببنت شفة لذلك قلت له :

- خيل إلينا أن العمارة جاهزة ؟.

رد علي بائع البيوت غير المبنية :

- من أين يا سيدي ، لو كانت منتهية لما بقي لدينا بيوت شاغرة .

راح الزبائن يزجرونني و كأن البيوت التي سيشترونها هي في متناول أيديهم :

- و أين ذلك المتسع ؟.

- إيه ! .. ما شاء الله " حوله و حواليه " يريد شقة جاهزة .

سألته :

- كتبتم في إعلانكم أن محطة القطار تبعد مسافة دقيقتين أين هي تلك

المحطة ؟.

أجابني صاحب المشروع :

- هذا الشيء يعتمد على قوة ساقيك إذا ركضت بقوة ستكون المسافة أقل من ذلك . ها هي المحطة .

كان يتحدث مشيرا بيده إلى مكان ما .

وهنا قلت له :

- إذن القطار يمر من أمام العمارة ، يعني هكذا يمكن اعتباره .

- العمارة أقرب إلى المحطة من القطار . تدخل أحد المسنين قائلا :

- المناظر! .

أحد الزبائن :

- آه ه ه ، كم هو قريب ! ..

جعلت من يدي كمظلة ووضعتها فوق عيني ونظرت باتجاه ما أشار لكن لم أشاهد شيئا ، كذلك فعل الباقون مثلما فعلت ، ولا أعتقد أنهم شاهدوا شيئا . لكن أحدهم وهو كبير في السن قال :

- أووو ، حقيقة مكان جميل ...

- هذا لا شيء بعد ، جمال المناظر هنا عندما يحل الليل و تنظرون في ضوء القمر . " علق صاحب العمارة "

رد عليه أحد الزبائن :

- واضح ، لا شك في ذلك .

راح ابني يصرخ كي يشرب الماء .

سألته :

- كتبتم في إعلانكم عن توفر الماء .

طلب صاحب العمارة من أحد العاملين الذين استقبلانا :

- هيا اجلب لهم الماء .

ركض الرجل وأنزل الدلو في البئر الذي يعلوه بكرة خاصة بينما قال أحدهم :

لا ماء يعلو على هذا الماء . كل واحد يمكنه حفر بئر ، وبعد حفر خمسين ستين مترا يظهر الماء أما أي ماء مثل الشراب ، لا يساعد على البدانة ، يهضم كل ما تأكل . انه ليس ماء بل كازوزة مباركة كذلك يساعد على طرح الرمل والفضلات من أجسامكم .

كان هذا الحديث يدور بينما كان العامل يمد الحبال إلى البئر و من ثم صرخ بصديقه :

- هيا احضر حبلا ولك .

ركض زميله وجلب لفة حبال ليجمع العامل تلك اللفة بحبل البئر. ليمدوه إلى البئر ثانية وعند نهاية تلك اللفة قال ذلك الذي على البئر :

- انخفض منسوب الماء ، على ما يبدو ، هيا اذهب و احضر حبلا ، ذهب و احضر لفة أخرى ليربطوها أيضا . بينما تابع صاحبنا حديثه :

- لا توجد أزمة هنا مثل المدينة ، ما عليك إلا تركيب مضخة لتحصل على وفرة من الماء ..

تحلقنا من شدة ظمئنا حول البئر .

وذاك الواقف إلى البئر يتأفف قائلا :

- ولك أين هرب الماء ، هيا اذهب و احضر حبلا .

احضر لفة حبل أخرى ، بينما كان أحد الزبائن يتحدث قائلا :

- كم تحملنا من أزمة المياه في المدينة ، لا توجد أزمة هنا ، يكفي هنا أن لا تكون أزمة حبال ، لذلك يجب امتلاك وفرة من الحبال . تدخل آخر في الحديث قائلا :

- يعني لا أزمة هنا و إن كانت فتكون أزمة حبال .

أما ذلك العامل فقد تأفف قائلا :

- يا هوه ،هل ثقب أسفل هذا البئر الملعون، هيا احضر حبلا . جلب لفة حبل أخرى ووصلها ثم مدها إلى البئر وعندما سمعنا صوت ارتطام في اسفل البئر قال صاحب العمارة :

- سمعتم صوتا ، وأي صوت ، صوت ماء فاخر ، هكذا هنا .

راح العامل يسحب الدلو من البئر ، لكن من ثقل الحبل الطويل و من ثقل الدلو أرهق ذلك العامل ليترك الدور لزميله .

راح ابني يلح طلبا للماء .

قلت له :

- انتظر هاهو يخرج الماء من البئر .

يبدو أن العامل تعب أيضا من سحب الدلو ليعطي الحبل لزميلـــه ثانية. وأخيرا أخرج الدلو لكنه كان فارغا ويتحجج :

- أف ، لقد كان الدلو مثقوبا ، وتسرب الماء بينما كنا نسحب الدلو ..

لا يمكن اعتبار الدلو فارغا تماما . وضعت تلك السمينة رأســـها في الدلو . مسكينة كانت تحترق من شدة العطش ، حتى أننا كنــــا نســـمع صوت مرور الماء من حلقومها بعدها أسند أحد الزبائن الدلو إلى رأســـه وبعده قام كل واحد منا بتلك العملية و كل من شرب كان يقول :

- أوه مثل السكر ، مبارك مثل الثلج . دفع الدلو إلى البئر ثلاث مرات و أخيرا جاء دوري في الشرب ، لا يمكن اعتباره ماء لأنه قياسا يمكـــن اعتباره الملح الإنكليزي أو زيت الخروع ، كعصير الليمــــون قياســـا بذلك، لا يوجد في ماء ذلك البئر سوى سائل بني اللـــون ، وبقايـــا الطين ، لذلك تجد بقايا طين تنساب من جانبي شفتي كل من شرب.

مسحت الطين بكف يدي وقلت :

- أنه ليس ماء يا أخي بل حياة .

بينما عقبت تلك السمينة :

- في إعلانكم كتبتم أن المنطقة مسكونة .

رد عليها صاحب المشروع :

- طبعا منطقة مسكونة ألا ترين ؟، إن هؤلاء العمال يسكنون هنا . مشيرا إلى خيمة العاملين .

- و أين الطريق الإسفلتي التي كانت في الصورة ؟.

- عندما تنزلون من هنا ستجدون طريقا إسفلتيا و سنصلها عندما يكتمل البناء .

راح أحد المحروق أنفاسه من أزمة السكن يدافع قائلا :

- لا حاجة لطريق إسفلتي ، ما شاء الله جميع أطرافه بيتوني .

- و أين المدرسة ؟.

- المدرسة ستبنى خلف تلك التلة الصغيرة ، وعلى يمينها سيبنى مسجد ، بعد ذلك ستبنى مستشفى .. والكازينو سيكون هنا .. وسيجهز السوق وسط الحي .

فرحت السمينة وقالت :

- شئ رائع !، يكفي أن تصرخ على البقال وتحصل على كل حاجياتك.

سأل ابني الكبير :

- وأين البحر ؟.

بينما سألت حماتي :

- وأين الشاطئ ؟. لأن رمال البحر مفيدة لمرض الروماتيزم .

- هذا المكان ملائم لك يا خاله .. هاهو البحر يتراءى من هنا .

رحنا جميعا ننظر من حيث كنا نقف على ظهر تلة في اتجاهات مختلفة ، و لا أحد يرى البحر ، يتدخل صاحب المشروع قائلا :

- يمكنكم مشاهدة البحر من الطوابق العليا .. فوق العمارة تراس واسع ،

وكل واحد منكم يستفيد من مشاهدة البحر .

- ألا يمكن مشاهدته من الطوابق السفلية ؟.

- يمكنكم ، فبحر مرمره تحت أقدامكم ، حتى إذا كنتم تـــودون ذلـــك فيمكنكم من هنا ، انظروا كيف يحيطنا البحر هناك .

قالت تلك السمينة :

- آه سأفقد وعيي ، حقيقة كم هو جميل البحر .

بينما سأل أحد الزبائن ذو النظارات و كأنه رأى كل شيء عــــدا البحر :

- أنا لا أرى البحر .

رد عليه صاحب العمارة قائلا :

- يلزمك منظار صغير .

سألته تلك السمينة :

- وهل ستعطوننا المنظار مع البيت ؟ .

أجابها صاحب العمارة :

- لا يا سيدتي ، ستشترون المنظار على نفقتكم . نحن سنؤمن لكم التيـلر الكهربائي .

- و أين التيار الكهربائي ؟.

- قمنا بكل ما يلزم و لم يبق سوى زرع الأعمدة ومد الأســلاك ، إذن فالأمور متوقفة على زرع الأعمدة.

.أعجبنا بذلك جميعا ، أخرج صاحب العمارة مخطط فرز العقــار . واضعا فوق كل حصة إشارة حمراء وقال:

- انظروا ، جميع هذه الشقق مبيعة ، و لم يبق سوى هذه الشقق ، هيــــا اختاروا إن رغبتم من هذه الشقق الفارغة .

سأله ذو النظارات :

- و متى ستجهز المنازل ؟...
- يا سيدي البيوت ... ستدفع الإثني عشر ألفا وخمسمئة ليرة وعندما ترتفع العمارة ثلاثة آلاف ليرة ، سبعة آلاف عندما يرتفع الطابق الأول، و خمسة آلاف في الطابق الثاني ... عشرة آلاف في الطابق الثالث و خمسة آلاف في الطابق الرابع و ما تبقى من مبلغ يقسط على ثمان سنوات .
- خذ يا بني و أعطي السادة إيصالات استلام بمبلغ اثني عشر ألف ليرة ...
- لكنكم لم تذكروا ذلك في إعلانكم _ قالت السيدة السمينة . بينما تدخل ذو النظارات :
- ذكرتم في الإعلان اثني عشر ألف ليرة دفعة أولى و الباقي بالتقسيط ..
- ونحن هكذا نقول ، عند إتمام الحفريات خمسة ... و عند الإتمام .. هكذا كل شيء بالتقسيط .

كم توترنا عندما طلب منا الدفعة النقدية ونحن الذين أعجبنا بسبب أزمة السكن بتلك المنازل الخيالية التي لم تكتمل .

- لا مناظر و لا بطيخ في هذه المناطق – قال أحد الزبائن .

بينما تساءلت تلك السمينة قائلة :

- لقد تجاوزنا المناظر أين البحر و أين الطريق ؟ .

بينما عقب زبون آخر :

- لا ماء و لا كهرباء ، يا هو ، لا يوجد شيء هنا .

قلت له :

- حتى البيوت ليست موجودة يا أخي ، لو كانت فالأمر سهل .

اتجهنا جميعا مشيا باتجاه المكان الذي تركنا فيه السيارات . و في الطريق رحنا نحدث بعضنا عن عدم صلاحية هذا المكان للسكن .

وصلنا المكان بعد مشقة ، أحد السائقين كان قد غـادر لأنـه لم يتحمل عناء الانتظار . ركبنا فوق بعضنا لنتسع في سيارتين لنصل المدينـة في منتصف الليل .

في اليوم الثاني رحنا إلى منطقة " منازل مئة وعشرة آلاف " و الـتي سبق أن قرأنا إعلانا عنها في الصحف وتلك المنطقة كانت أسوأ مـن سابقتها .

والآن نحن نبحث عن بيت منذ ثلاثة أشهر و النقود في جيبنا سألت زوجتي أمس مساء :

- كم بقي لدينا ؟.

عدت زوجتي ما تبقى من اثنتي عشر ألف ليرة و قالت :

- ألف و ثلاثمئة وثمانين ليرة .

إن مزاجي لن يكتمل هذا اليوم إلا مع المشروب :

- هيا أرسلي ليحضروا زجاجة عرق من هنا و جهزي لنا سفرة عامرة ، إنني بحاجة لمشروب .

بينما قالت زوجتي وهي التي لم تذق طعم المشروب بحياتها :

- وأنا كذلك .

حتى أن حماتي التي كانت تقول أن من يتذوق الخمر سيحترق في نار جهنم قالت :

- لأتناول معكم قدحا يقولون أنه مفيد لوجع الرأس .

شقتنا معروضة للبيع و نحن لم نجد بيتا يضمنا وصرفنا السلفة الـتي أخذتها عن عام كامل هذا يعني أنني سأعمل لمدة عام بلا أجر . اصمد إن استطعت ...

وضع العرق المثلج على الطاولة :

- بصحتكم أيها السيدات و السادة .

أكبر كاتبين العالم

أكبر كاتبين في العالم أعرفهما بشكل أو بآخر ، أحدهما من عندنا، أعرفه منذ فترة طويلة . بداية استطاع اقناع نفسه بأنه أكبر كـــاتب في العالم ، ومن ثم أقنعنا بذلك . وذلك كما الكتاب الآخرين من خـــلال تصرفاته ، تناوله للمشروبات الروحية و مزاجيته ونرجسيته ونزقه وسرعة غضبه. من السهولة بمكان إقناع عامة الناس بهذا الأمر ، لكـــن إقنـــاع الكتاب بهذا الأمر ، فهذا ضرب من المستحيل لأن كل واحد منهم يظـــن نفسه الأفضل في العالم .و بسبب أن كثيرين منهم لا يستطيعون الإفصاح عن هذا الشعور ، لذلك تجدهم يتبعون اسلوبا آخر بأن يحاولوا الإساءة وتشويه صفحة أهم كاتب في العالم من أجل الوصول إلى الشهرة .

حسب قناعتي في هذا الموضوع ، كاتبنا الأفضل في العالم ليس هـــو أسوأ من ذاك الأفضل في العالم ، حتى أنه أفضل من كثيرين من الكتاب . من الطبيعي أن الكاتب في هذا الموقف يتعرض من قبل غيره من الكتـــاب إلى الكثير من الحسد والغيرة . لكن ، بما أنه استطاع إقناع نفسه بأنـــه أفضل كاتب في العالم لدرجة فقد بات يظن أن جميع الكتاب يحسدونه .

أما الكاتب الآخر فهو من دولة أخرى ، وذلك أفضل ، لأنـــه لا يمكن أن يكون أفضل كاتبين في العالم من بلد واحد ، فهذا أمر مستحيل لأنهما لن يستطيعا العيش في مكان واحد و زمان واحد ، أو أن أحدهمـــا

لن يكون الأفضل في العالم .

كنا ثلاثة كتاب قد تلقينا دعوة لزيارة بلد ذلك الأفضل في العالم لحضور ملتقى كتاب العالم ، سافرنا ، و كل واحد منا بصدد أن يكون أكبر كاتب في العالم . في ذلك الملتقى الدولي ، احتشد جمع غفير من الكتاب من شعوب مختلفة .

لأول مرة في هذا اللقاء أحضر اجتماع كبار كتاب العالم ، كذلك فإن هذه هي مشاركتي و مشاركة صديقي الأولى ، كنا كاتبين شابين ، كنا نشعر ككل الكتاب بأننا أكبر كاتبين في العالم ، إلا أننا كنا نحتفظ به كسر في أعماقنا ، حتى أننا لم نتجرأ على إقناع أنفسنا بذلك . لا أدري كيف كان يتصرف صديقي ، لكنني كنت أحاول جاهدا مراقبة و تدقيق تصرفات الكتاب الكبار ، محاولا التعلم كيف يجب حتى أن أكون مستقبلا وكيف أتصرف .

و طالما لا أستطيع الإفصاح عن كوني أكبر كاتب في الدنيا ، إذا لم لا أهيئ نفسي للإعتياد على ذلك ؟.

دعونا الآن من هذا الموضوع لأقول حسب وجهة نظري إن الكاتب الثالث الذي كان معنا في لقاء الكتاب الدولي مثله مثل الكتاب الآخرين كاتب فاشل غير موهوب والأقل أهلية في العالم ، مع أنه كان يعتبر نفسه أفضل كاتب في الدنيا . لم أستطع أنا وصديقي بأي شكل من الأشكال إبراز عالميتنا في هذا الملتقى ، قد يكون السبب الخجل و تواضع الشباب ، وهكذا كان كاتبنا " الأفضل في العالم " محقا في أن يكون في المقدمة على الدوام ،عدا عن ذلك كنا نعمل كل جهدنا كي يكون في المقدمة على الدوام ، لأننا تعلمنا في المدارس و في الخدمة العسكرية أن الكبار و طوال القامة يسيرون في المقدمة أثناء العرض ، هم يحملون الراية باستمرار يليهم بالدور الأقصر قامة ليبقى في آخر الدور

القصار جدا والصغار ، ولا يوجد أحد يعارض هذا المنطق على الرغم مما جاء في بيان حقوق الإنسان ، حتى أن اتفاقية باريس لحقوق الإنسان لم يخلط بين طول القامة و قصره بل تعتبر أن جميع بني البشر سواسية منذ لحظة ولادتهم . بقيت مسألة أخرى هي مسألة ولادة الإنسان وهي تخلق مجالا واسعا للنقاش آخذين بعين الاعتبار أن جميع بني البشر متساوون منذ لحظة ولادتهم . لكن أيعقل إمكانية المساواة بين طفل يولد وزنه بين ٥و٦ كيلوغراما وطوله يتراوح ٦٠و٧٠سنتمترا و آخر يلد ووزنه ٧٠٠غراما و طوله ما بين ٣٠و٤٠ سنتمترا.

و حسب المقولة التي كانت تتردد قديما " أن كل طويل أحمق و كل قصير فتنة و فاجر " فأنا ممن يقتنع بها بأن كل طويل أحمق و كل قصير فتنة وفجور

إن حماقة الطوال مدنيين كانوا أو عسكريين واضحة من خلال مشيتهم في مقدمة المسيرات متفاخرين دون أن يأخذوا بعين الاعتبار الخطورة المحدقة بهم . إن جميع المسيرات تحمى من قبل أولئك ، إن السير في المقدمة يعني التعرض للخطر قبل الجميع ، أما قصار القامة و بطبيعة وضعهم في الخلف فهم في مراقبة دائمة لمن يسير في الأمام لذلك تجدهم مضطرين إلى الثرثرة عنهم أو التعليق والسخرية ، يعني هم مجبرون على أن يكونوا في موقع الفتنة ، ومن أين للطوال القامة أن يقوموا بذلك طالما هم في الطليعة .

لكن ماذا بالنسبة لمتوسطي القامة ؟ لا شك أنهم قد حصلوا على نصيبهم من الحماقة والفتنة في آن واحد .

حسنا ، إن طويل القامة و قصير القامة كلاهما يمتلكان حاسة الرؤية ... لكن مسألة الطول و القصر هي مسألة نسبية . فعلى سبيل المثال الطويل بين الأقزام يعتبر فرخا صغيرا بين السنغاليين .

مهما يكن فإن كاتبنا العالمي ليس عالميا بكتاباته فحسب ، بل هو كاتب عالمي بطوله و ضخامة جسمه وصوته المتناسب مه هيئته ، بثقله و صخبه . رغم غيرتنا منه ، كنا نفتخر به .

لذلك كان من الضرورة أن يتقدم موكبنا في حضور اجتماع ملتقى الكتاب العالمي ، يليه كذلك من خلفه كاتبنا غير الموهوب أما الموقع الأخير فكان من نصيبي .

عندما زرنا عاصمة الدولة التي دعينا إليها علمنا أن فيها كاتبا عالميا مثل كاتبنا ، وكما قيل لنا فإن ذلك الكاتب العالمي كتب أعماله في الفترة ما بين الحربين العالميتين ، هذا يعني أنه أكبر سنا من كاتبنا العالمي .

لكننا لم نكن نعرف أيهما أكبر كاتب في العالم فيما لو تجاوزنا مسألة العمر .

قبل انعقاد الملتقى بيوم واحد علمنا أن كليهما سيلتقيان . كنت وصديقي ننتظر هذا اللقاء ببالغ الاهتمام و القلق . لأن هذا اللقاء سيحدد قرارنا أيهما أكثر عالمية و أيهما أكبر كاتبا في العالم .

تم كل شيء و انتهى كما هو متوقع ، وحصل اللقاء أمام أنظارنا،التقيا ليس كأكبر كاتبين في العالم بل كملاكمين للوزن الثقيل في حلبة الملاكمة ، أو أكبر مصارعين في ميدان المصارعة . تماما هكذا كان لقاءهما .

صاحب البيت حيث تم فيه اللقاء هو الكاتب العالمي ، يقع بيته في الطابق الثاني من مبنى الاتحاد ، فيه صالة واسعة ، غير مفروشة ، مقسمة بلوح زجاجي كبير من الأسفل و حتى السقف .

كنا أنا وصديقي الكاتب مع مجموعة من الكتاب نقف في قسم من الصالون بينما في القسم الثاني كان ذلك الأكبر كاتب في العالم ، كنا نراقبه عبر الزجاج . كنا ننتظر كاتبنا الأكبر في العالم بينما ذلك الكاتب

لعالمي الكبير جالس مختفيا في أريكة جلدية كبيرة يدخن سيجارة .

مجموعة من الكتاب في القسم الذي كنا فيه كانوا يتحدثون كل حسب رغبته ، بينما كنت و صديقي ومعنا مترجمتنا و مرافقتنا متهيئين و متربصين من خلف الزجاج بلحظة لقاء أكبر كاتبين في العالم .

سررت كثيرا لتأخر كاتبنا عن الموعد و إن انتظار الآخر ، يعني نقطة أولى لصالح كاتبنا . ذلك الكاتب جالس في زاوية حلبة الملاكمة مثل ملاكم متحفز للنزال . بعد لحظات أخذت أرضية الصالون الخشبية تصدر صوتا ، و الأشياء الموضوعة على الطاولة التي كانت أمامنا أخذت ترتجف ، هذا يعني دخول كاتبنا إلى الصالون ، عندما التفت نحو الباب حقيقة شاهدت دخول كاتبنا من الباب ، سعل ، و أي سعال جعل الزجاج يصدح . هذه السعلة لم تكن من أجل السعال بل كي يعلمه بقدومه ، دخل القسم الآخر حيث ذلك الكاتب الكبير ، لم يكن معه مترجم ، سألت مترجمتنا و مرافقتنا عن اللغات التي يجيدها كاتبهم الكبير، أجابتني أنه لا يجيد سوى لغته الأم ، كذلك أضافت مظهرة بتفاخر عدم حبها له ، و أنه عند قراءة رواياته السميكة يتبين أنه حتى لغته الأساسية لا يجيدها بشكل جيد ، ها قد حصل كاتبنا العالمي الكبير على نقطة أخرى ، لا لأنه يجيد لغة أخرى بل لتفوقه على غريمه بمعرفه لغته الأم هذا إذا ما غضضنا الطرف عن مستواه في المحادثة .

كنت أترقب باهتمام كيف سيتفاهمان و تجمعهما عدم إجادتهما للغات أخرى ، لكنني فهمت بعد لحظات أن اهتمامي كان عبثا ، سأقوم بنقل ما جرى من خلف الزجاج ، كما حدث تماما .

كاتبنا الذي دخل محدثا اهتزازا و ارتجاجا في أثاث الصالة . عندما فتح الباب الزجاجي دخل كأنه الريح أو الرعد ، فتح يديه للحظات طويلة ثم راح يصدر صوتا "أووووو" هذه ال " أووو" كانت تشبه

التأثيرات الصوتية المستخدمة في المسرح .

ارتعب ذلك الكاتب العالمي الجالس و ظهره إلى الباب عندما سمع صوت ارتطام الباب والذي تبعه ال"أووووو" وعندما التفت ورأى كاتبنا فاتحا يديه تجمدت نظراته من الدهشة . أعتقد أنه خلال هذه اللحظات كان يفكر ماذا عليه أن يفعل ، على الأغلب أنه اتخذ قراره بشكل تصرفه، لأنه نهض واقفا وقام كما فعل كاتبنا تماما إذ راح يتفوه مصدرا " أووو " وهكذا استمرا على هذا الشكل لفترة من الزمن ، لكن إلى متى سيبقيان " يتوأوأن " بهذا الشكل ؟ . الحقيقية جميعنا كنا مهتمين بهذا الموضوع .

لف صاحبنا كلتا يديه كجناحين على عنق ذلك الكاتب ، كذلك ذلك الكاتب كان في موقف يشاطره حركته ليطوق عنق كاتبنا بكلتا يديه ، ثم تعانقا و تحاضنا ، هكذا أصبحا كمصارعين مستعدين لجولة مصارعة .

كاتبان كبيان متواجهان وقوفا ، يمكنني أن أقارن بينهما بشكل أفضل ، عندما تنظر إلى بطن وخصر الكاتبين تجد أن ذلك الكاتب أعرض و أثقل من كاتبنا لكن بالمقابل كاتبنا كان أطول منه بمقدار إصبعين أو ثلاثة .

ما يجري في الجانب الثاني من اللوح الزجاجي كان مسموعا لدينا ، ومن الصوت كان يفهم أنهما يتبادلان القبلات ، قبلة من هذا الخد و أخرى من الخد الآخر ، بما أن ذاك الكاتب هو صاحب البيت و لكي لا يكون أقل قدرا من غريمه راح يفرقع بقبلاته على خديه .

حتى هذه اللحظة كانت كما رأيتها و شاهدتها و لا يمكن اعتبارها غير عادية ، أما ما جرى في الحلبة بعد ذلك فهي حقيقة غير عادية أو قل خارقة . مد كاتبنا الكبير كلتا يديه الملفوفتين حول عنق ذلك الكاتب

إلى كتفيه ثم نحو ظهره ، عندها ، أحكمهما جيدا ليرفعه عاليا ثم يلقيه على الأرض عدة مرات ، و في المرة الأخيرة أطلق ضحكة مجلجلة اهتز منها زجاج الصالون . أصاب الكاتب شئ من الذهول ، أما فقدانه للتوازن كان أكبر من ذلك . توقف قليلا كأنه يفكر ماذا عليه أن يفعل

بينما قال له كاتبنا الكبير " هيا دورك الآن " فظن الكاتب الآخر أن هذه طريقة إلقاء التحية في بلد كاتبنا الكبير ، و بما أنه صاحب البيت فمن المعيب أن لا يرد على تحيته بنفس الطريقة . لذلك ولكي لا يكون مقصرا تجاهه مد يديه الطويلتين على عنقه باتجاه ظهره ورفع كاتبنا الكبير عاليا و عاليا ثم هوى به إلى الأرض ، إلا أنه أرهق و انقطعت أنفاسه من حمل كاتبنا لكونه أكبر سنا مع ذلك لم يتأخر عن كاتبنا إذ أنه أطلق ضحكة مقهقها تماما مثل كاتبنا . بالمقابل راح كاتبنا يضغط بكلتا يديه الموضوعتين على كتفي ذلك الكاتب حتى كومه على أريكته ، ونفس الحركات قام بها ذلك الكاتب على كاتبنا الكبير . وهكذا الكاتبان الكبيران كانا جالسين متقابلين .

حتى هذه اللحظة جميع الأمور كانت تجري بمودة وصداقة ، بعد ذلك فحسب اعتقادي ستجري الأمور بمتعة أكثر ، للنظر كيف سيتفاهمان دون استخدام لسانيهما . كنا نراقب أكبر كاتبين في العالم من خلف الزجاج باهتمام ، و كأننا نراقب حوض سمك .

تبادلا النظرات بوجوه باشة ، و بنظراتهما تفحصا بعضهما طويلا ، في هذه اللحظة وقف كاتبنا الكبير مطلقا ضحكة متوسطة ليعقص و جنة غريمه بمودة ، وبما أن ذلك الكاتب يجب لا يكون أقل قدرا من كاتبنا لذلك بادله عقصة بعقصه أخرى من وجنته مطلقا ضحكته . عموما جميع المبادرات كانت تأتي من كاتبنا الكبير ، بينما كان ذلك الكاتب يحاول الرد بطريقة كاتبنا تماما . هكذا وجد الكاتبان طريقة للتفاهم .

كان يظهر على الكاتبين السرور و السعادة ، بعد عقصه متبادلة قام كاتبنا الكبير بداية بتمسيد وجنة ذلك الكاتب ثم أنزل صفعة على عنقه . بسبب هذه الصفعة تبدد جو المرح فيما بينهما ، لأن كاتبنا عندما صفع ذلك الرجل الكبير بيده الثقيلة على عنقه كان قد رفع العيار قليلا لذلك نزلت الصفعة قوية على عنقه ، لم يصدر عن ذلك الكاتب الكبير سوى " هيه " و بسببها كان على وشك الإنسطاح على الأرض ، على ما يبدو انزعج الكاتب قليلا حتى نسي أنه صاحب البيت و نسي حبه للضيوف و انهال بصفعة بكل ما أوتي من قوة على عنق كاتبنا الكبير ، يبدو أنه لم يشف غليله بعد . لذلك لطمه على خده لطمة سمعنا صوتها من خلف الزجاج . و هكذا تحولت المحادثة الودية إلى نقاش قاس ، حتى أنه كان يشتم كاتبنا الكبير بيده وقبضته .

قال لي صديقي الكاتب :

- هل نذهب و نفك اشتباكهما ؟ .

- لماذا ستباعد بين كاتبين متحضرين و هما يتناقشان .

حقيقة حدث ما توقعت ، ربت كاتبنا الكبير على ظهر غريمه مظهرا كبره و استيعابه لما جرى ، قد يكون تصرفه هذا طيب خاطر ذلك الكاتب الكبير حتى بادله بابتسامة وقام بنفس ما عمله كاتبنا فربت على ظهره أيضا . عدل كاتبنا جلسته مسندا ظهره ووضع رجلا فوق الأخرى ، كذلك فعل الكاتب الآخر ، ثم انقض كاتبنا كحيوان مفترس كبير على ركبة ذلك الكاتب بضربة ، بينما أجابه الكاتب بضربة ودية على ركبة كاتبنا الكبير . لكن ماذا حدث بينهما و ماذا حصل حتى نهض كاتبنا العالمي الكبير فجأة واقفا على قدميه و على ما يبدو أن ذلك الكاتب لم يكن يرغب أن تجري الأمور على غفلة منه لذلك أخذ موقعه في العرض فورا .

بعد وقوفهما و بما أن تحركاتهما كانت سريعة لذلك لم أستطع أن أتبين من البادئ . إذ أن كل واحد منهما وضع يده على خصر الآخر ثم تحركا بأيديهما نحو الصدر ، و من ثم نحو مقعدهما ، ليضحكا و كأنهما يتكركران حتى ازدادت حدة ضحكهما معمقين فرحتهما و على ما أظن أن كاتبنا العظيم قال له " توقف ، كفى كركرة ، فأنا لا أحب الميوعة " بوضع يده على عنق الأخر ممسكا من تلابيبه ، اهتز قليلا إلا أنه لم يسقط على الأرض . انزعج على ما يبدو لأنه هجم على كاتبنا الكبير و كأنه حامي الحمى و هكذا تماسكا . أما كاتبنا الكبير فقد اندفع كالفارس المقدام مثلما اندفع علي رضي الله عنه على جيش الكفار . توتر الموقف تماما صفعة من هنا و لكمة من هناك و هكذا تداخل أكبر كاتبين في العالم أحدهما يسقط على الأرض بينما الآخر ينهض ، رفسة و مسكة ولكمة مستقيمة ثم لكمة "كورشيه " لكمة مزدوجه بعد ذلك راحا يتناطحان بغضب .

بينما كنا نفكر وماذا بعد و إذ بذلك الكاتب يستلقي على ظهره بينما يمد كاتبنا الكبير ك "جنتلمان " يده فرفعه ثم قبله ، كذلك قام الكاتب و قبله ليطلقا القهقهات .

أثناء ذلك فتح الباب ، و دخل أحدهم محضرا فنجاني قهوة و كأسا من الماء .

جلسا متقابلين على أريكتهما و هما يضحكان و يشربان القهوة ، و بين اللحظة والأخرى يضربان ركبتي بعضهما البعض أو يمسدان وجنتيهما. كاتبنا أول من أنهى فنجانه و نهض واقفا ، ثم سارع الآخر بالنهوض. إيه من يدري ماذا يحصل قد يبدأ العراك من جديد و هذا ما حصل و بدأت الجولة الثانية لكنها لم تستمر طويلا .

إن جميع هذه الحركات و هذه العروض لو لم تكن و سط قهقهات

وضحك لظن المراقب الغريب أنهما فعلا يتشاجران .

ثمان ساعات إلا ثمان وعشرين دقيقة ونحن نراقب هذه العروض غير الطبيعية. تراجع كاتبنا العالمي الكبير باتجاه الباب رافعاً يده اليسرى معلناً انتصاره بينما رفع الكاتب الكبير من مكانه ملوحاً . ومن وجهه المبتسم يمكن استشفاف أمارات الحزن . عندما خرج كاتبنا من الباب تهاوى ذلك الكاتب في مكانه مرهقاً .

لا تعتبر هذه الحادثة حتى الآن غريبة نوعاً ما ، لكن الأكثر غرابة – حسب قناعتي – هو ما جرى بعد ذلك. بعد قرابة عشرة أعوام ، ذهبت إلى ذلك البلد لكن هذه المرة كنت لوحدي ، و حسب التصورات كنت سألتقي مع ذلك الكاتب العالمي ، تحادثنا بمساعدة مترجم ، أثناء الحديث سألني عن كاتبنا العالمي الكبير ، حدثته عن وضعه و عن أعماله الغنية و نتاجه المتلاحق . لم يكتف بالتساؤل ليعبر لي عن علاقة الصداقة التي تربطه بكاتبنا العالمي وعن تفاهمهما و أنه لا يستطيع نسيان اللقاء الحار و الحميمي الطويل الذي جرى بينهما قبل عشر سنوات كذلك قال إن الصداقة مع مثل هذا الكاتب شرف عظيم و أنه عرف مكانته العالية والسامية و قال " إنه كاتب كبير جداً جداً " .

بعد ذلك اللقاء بعدة أشهر توفي ذلك الكاتب الكبير ، و عندما سمع كاتبنا الكبير نبأ و فاته تحدث في لقاء صحفي مبيناً أن الكاتب الذي توفي كان صديقاً قريباً و أنه من أقرب الكتاب الذين تفاهم معهم و أن بوفاته فقد كاتباً كبيراً و عزيزاً و أن العالم ستذكر أعماله دائماً و أنه ترك أعمالاً خالدة في الشعر و الرواية و القصة والمسرح و أنه لن ينسى لقاءهما الرائع وعندما لزم ذكر اسم ذلك الكاتب مال نحو صديقه الكاتب الجالس بجواره هامساً في أذنه :

– يا هوه – ما اسم ذلك الكاتب ؟ .

المحتويات

E.O.F

Exclusively

First published on the net by :

Zeth_Griffin

April 2009

Zeth_Griffin@yahoo.com

Zeth_Griffin